



Democratic Arab Center
for Strategic Political and Economic Studies

التحولات الجيوسياسية في السياسة العالمية

ضغط الأحداث في العالم العربي

الإشراف العام على الكتاب :
سليم جداي
رفيق عباد
سعاد مباركية

كتاب جماعي محكم

المركز الديمقراطي العربي

التحولات الجيوسياسية في السياسة العالمية - ضغط الأحداث في العالم العربي



مؤلف جماعي
شارك فيه مجموعة من الباحثين المميزين ضمن
مبادرة دعم الشباب الباحثين لتأليف كتب جماعية
برعاية المركز الديمقراطي العربي ألمانيا - برلين

عرف عالم اليوم منعرجات عديدة وتطورات متسارعة تمثلت في مجملها في التغير في مفهوم القوة والتغير كذلك في مفهوم الفواعل، فأصبح الفرد يهدد الدولة ،كما أصبحت الدولة القومية في حالة ترحل شبه تام فهي تحت نطاق العولمة تبدو ضعيفة والسياسة العالمية أصبحت مركبة تماما من خلال ضغط الزمان والمكان "العولمة" ،وأصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة تتسارع أحداثها وتختلف أهدافها ومما لاشك فيه ان العالم العربي جزء من الكتلة الكلية للعلاقات الدولية والسياسة العالمية وهو الشيء الذي جعل من الفضاء العربي في تكيف دائم سوءا بالسلب ام بالإيجاب فالإشكالية المطروحة في هذا الكتاب ما هو مستقبل الفضاء العربي ضمن ما يجري من أحداث متسارعة وأزمات متتالية؟ وما هو دور الدول العربية حيال هذا الضغط والتحولات السريعة؟

DEMOCRATIC ARAB CENTER

Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str. 112

<http://democraticac.de>

TEL: 0049-CODE

030-89005468/030-898999419/030-57348845

MOBILTELEFON: 0049174274278717



المركز الديمقراطي العربي - برلين - ألمانيا



DEMOCRATICAC.DE



التحولات الجيوسياسية في السياسة العالمية

" ضغط الأحداث في العالم العربي "

Geopolitical Transformations in Global Politics

"The Pressure of Events in the Arab World"

الإشراف العام على الكتاب

سليم جداي، جامعة المسيلة، الجزائر.

رفيق محباد، جامعة الواد، الجزائر

سعاد مباركية، جامعة أم البواقي، الجزائر

الناشر

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، برلين- ألمانيا

Democratic Arab Center for Strategic, political & Economic Studies, Berlin- Germany

رئيس المركز الديمقراطي العربي، برلين ألمانيا

أ. عمار شرعان

مدير إدارة النشر المركز الديمقراطي العربي، برلين ألمانيا

د. أحمد بوهكو

رقم تسجيل الكتاب

ISBN 9 783689 291440

جميع حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي

شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر

Democratic Arabic Center

Germany: Berlin 10315 Censinger-Str: 112

<https://democraticac.de/>

book@democraticac.de

Tel: (0049- Code Germany)

030-89005468 / 030-898999419 / 030-57348845

MOBILE TELEFON: 0049174274278717

التحولات الجيوسياسية في السياسة العالمية

"ضغط الأحداث في العالم العربي"

Geopolitical Transformations in Global Politics

"The Pressure of Events in the Arab World"

الإشراف العام على الكتاب

سليم جداي، جامعة المسيلة، الجزائر

رفيق عباد، جامعة الواد، الجزائر

سعاد مباركية، جامعة أم البواقي، الجزائر

دباجة الكتاب

عرف عالم اليوم منعرجات عديدة وتطورات متسارعة تمثلت في مجملها في التغير في مفهوم القوة والتغير كذلك في مفهوم الفواعل، فأصبح الفرد يهدد الدولة، كما أصبحت الدولة القومية في حالة ترهل شبه تام فهي تحت نطاق العولمة تبدو ضعيفة والسياسة العالمية أصبحت مركبة تماما من خلال ضغط الزمان والمكان "العولمة"، واصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة تتسارع أحداثها وتختلف أهدافها ومما لاشك فيه ان العالم العربي جزء من الكتلة الكلية للعلاقات الدولية والسياسة العالمية وهو الشئ الذي جعل من الفضاء العربي في تكييف دائم سواء بالسلب ام بالإيجاب فالإشكالية المطروحة في هذا الكتاب ما هو مستقبل الفضاء العربي ضمن ما يجري من أحداث متسارعة وأزمات متتالية؟ وما هو دور الدول العربية حيال هذا الضغط والتحولات السريعة؟

محاور الإستكتاب

- ❖ المحور الأول: مداخل مفاهيمية حول الجيوبوليتيك والنظريات المفسرة
 - الجيوبوليتيك، الجغرافيا السياسية، الجيوسياسية
- ❖ المحور الثاني: مقاربات حول تداخل الأحداث في العلاقات الدولية
- ❖ المحور الثالث: مقاربات حول النزاعات المعاصرة في الفضاء العربي
- ❖ المحور الرابع: أزمة الديمقراطية في السياسة العالمية "الأسباب والمعيقات"
- ❖ المحور الخامس: التغيرات المعرفية للقوة في السياسة العالمية، المحددات والتحديات
- ❖ المحور السادس: التغيرات المعرفية للخطاب في العلاقات الدولية والخلفيات والسيناريوهات
- ❖ المحور السابع: محدثات تجديد الخطاب في العلاقات الدولية
- ❖ المحور الثامن: الجيوبوليتيك وعامل التكنولوجيا وسرعة الأحداث في العالم العربي، الأبعاد والتحديات
- ❖ المحور التاسع : نماذج مختارة للدول العربية والأحداث الجارية: دراسات حالة
- ❖ المحور العاشر: مقاربات حول ضغط الأحداث في الوطن العربي

اللجنة العلمية والاستشارية للإستكشاف

❖ رئيس اللجنة العلمية

- لحبيب عبيدات، جامعة أم البواقي، الجزائر

❖ تنسيق وترتيب

- حورية قصعة، جامعة قالمة، الجزائر

❖ مراجعة وتحريـر

- هشام براهـي. جامعة خنشلة. الجزائر

اللجنة العلمية والاستشارية

- د. أحمد قاسمي، جامعة الجزائر 03. الجزائر
- د. حورية قصعة، جامعة قالمة. الجزائر
- د. سعاد مباركية، جامعة ام البواقي . الجزائر
- د. مختار مراحي، جامعة سوسة. تونس
- د. تقي مباركية، جامعة تبسة. الجزائر
- د. هشام براهـي، جامعة خنشلة. الجزائر
- د. عنتر بوغرارة، جامعة تبسة. الجزائر
- د. محمد بوشكيوة، جامعة الجزائر 03. الجزائر
- د. لحبيب عبيدات، جامعة أم البواقي. الجزائر

- د. مصابحية نادية، جامعة تبسة. الجزائر
- د. زمام فطيمة، جامعة الجزائر 03. الجزائر
- د. بوديارهاجر، جامعة الجزائر 03. الجزائر
- د. رفيق عباد، جامعة الواد. الجزائر.

Contents | فهرس المحتويات

الصفحات	عنوان المقال	مؤلف/مؤلفو المقال
Page Range	Title	Author(s)
24-08	العالم العربي في ميزان النظام الدولي الجديد Le monde arabe dans la balance du nouveau système international	هيثم بالخضير 01
37-25	الحرب على غزة منظور اسرائيلي – غربي The war on Gaza is an Israeli-Western perspective	أ.د إبراهيم حردان مطر 02
91-38	جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية The Significance of Southern Syria in Israel's Regional Strategy: Examining the Doctrine of "Protecting the Druze Minority"	د. أميرة صديق 03

العالم العربي في ميزان النظام الدولي الجديد

Le monde arabe dans la balance du nouveau système international

هيثم بالخضير

باحث في العلاقات الدولية، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

mustafate244@gmail.com

ملخص الدراسة

يُعد العالم العربي مركزاً محورياً في منظومة العلاقات الدولية، إذ لا يمكن لأي قوة عالمية صاعدة أن تفرض حضورها أو تشكل قطباً دولياً دون أن تمر بالمنطقة العربية أو ترتبط بها. فهي بمثابة "الرحم الحضاري" الذي نشأت فيه إمبراطوريات كبرى، ولا تزال القوى الدولية تتفاعل معه باعتباره بوابة النفوذ والسيطرة، وقد شهد التاريخ تكراراً لهذه الظاهرة، من الإمبراطوريات القديمة كالأمويين والعباسيين والفاطميين، إلى العثمانيين والمغول والبيزنطيين، وصولاً إلى القوى الغربية الحديثة كأوروبا والولايات المتحدة. جميعها احتكّت بالعالم العربي في مراحل صعودها أو تراجعها، في دلالة على مركزية هذه المنطقة في إعادة تشكيل موازين القوى العالمية، أما اليوم، ومع تصاعد التعددية القطبية وبروز ملامح نظام دولي جديد، لا تزال المنطقة العربية - وتحديداً الشرق الأوسط - في قلب الصراع العالمي. فالحرب في قطاع غزة، التي تتداخل فيها أطراف دولية كبرى كأمریکا وحلفائها، تعبّر عن استمرار هذا الارتباط العميق بين تحولات القوة العالمية والمنطقة العربية.

الكلمات المفتاحية: العالم العربي، العلاقات الدولية، التعددية القطبية، النظام الدولي الجديد.

Abstract

The Arab world remains a pivotal center in the global order. No emerging global power can assert its influence or shape a new international pole without engaging with or passing through the region. Historically regarded as a "civilizational womb," the Arab world has witnessed the rise of major empires—from the Umayyads, Abbasids, and Fatimids to the Ottomans, Mongols, and Byzantines, and later Western powers like Europe and the United States. All these powers engaged with the Arab region during their ascent or decline, underscoring its central role in shaping global power dynamics. Today, amid the rise of multipolarity and the emergence of a new international system, the Arab world—especially the Middle East—remains at the heart of global conflicts. The ongoing war in Gaza, involving major powers such as the U.S. and its allies, reflects the enduring link between shifts in global power and the Arab region.

Keywords: Arab world, international relations, multipolarity, new international order.

1. مقدمة

تُعدّ المقدمة مدخلاً لفهم السلوك الدولي للدول، انطلاقاً من الطبيعة البشرية التي تميل إلى الأنانية والسعي نحو القوة. فالإنسان بطبعه يسعى إلى الرفاه والمكانة، والدول تشاركه هذا السلوك في إطار العلاقات الدولية. إذ كما يسعى الفرد إلى تأمين مصالحه، تسعى الدول بدورها إلى تحقيق أمنها القومي وتعزيز نفوذها الاستراتيجي.

وعليه، فإن السياسة الدولية هي ساحة صراع مستمر من أجل القوة، والدولة تملك حرية اختيار الوسائل المناسبة لتحقيق ذلك الهدف. ومن هذا المنطلق، يؤمن الواقعيون الجدد بأن السلام العالمي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال توازن القوى. وتكمن مهمة الدول في مراقبة صعود القوى الدولية الأخرى، وتقييم التوازنات الجيوسياسية باستمرار. وعند التفاوض مع القوى الكبرى، تكتسب النظريات السياسية أهميتها في بُعدين اثنين: الأول فهم الاستراتيجيات الكبرى التي تسعى القوى العظمى إلى تحقيقها، والثاني فهم طبيعة تفكير صناع القرار في الجهة المقابلة.

تهدف هذه الورقة إلى تتبع الأحداث الدولية المتسارعة ذات الصلة بالعالم العربي، وتحليلها تحليلًا منهجيًا من أجل تصور سيناريوهات محتملة للمشاهدين الإقليمي والدولي في المستقبل القريب.

وتكمن أهمية هذا المقال في كونه يصدر في لحظة تاريخية تشهد سيولة في الأحداث وتشابكًا في القضايا الدولية، ما يجعل من الصعب على المتابع العادي الإلمام بها وفهم مساراتها. ومن هنا، يسعى المقال إلى تقديم رؤية تحليلية مبسطة تُمكن القارئ من تكوين صورة أوضح حول أبرز التحولات العالمية.

أما مبرر اختيار هذا الموضوع فيعود إلى الرغبة في التعبير عن موقف تحليلي تجاه ما يشهده العالم من توترات وتجاذبات متصاعدة، قد تُفضي إلى أزمات عالمية كبرى تهدد السلم والأمن الدوليين.

وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في مقارنة هذا الموضوع، من خلال تحليل الأحداث الإقليمية والدولية الراهنة المرتبطة بالعالم العربي، في أفق تقديم رؤية استشرافية حول مستقبل المنطقة.

2. الأحداث المتداخلة في العلاقات الدولية

عبر كل حقبة زمنية هامة من التاريخ البشري، تتغير ملامح النظام الدولي ووجه العلاقات الدولية في العالم، وفق معادلات ومناخات جديدة. فقد تكون هذه الحقبة الهامة حربًا عالمية مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد تكون حدثًا استراتيجيًا مثل انهيار الاتحاد السوفياتي وتصدّع المنظومة الاشتراكية، وقد تكون أيضًا حدثًا إقليميًا خارقًا للعادة مثل اجتياح العراق للكويت، وما نتج عنه من حرب كبرى فتحت أبواب تحولات عميقة في المنطقة، من خلال الحشود العسكرية الأجنبية واحتلال البلدان العربية في قلب العالم العربي.

ويخبرنا التاريخ أن نتيجة كل حدث استراتيجي ضخم، وكل الأحداث الدولية الكبرى، والحروب والصراعات المستنزفة لثروات العالم، تقود في النهاية إلى نشوء نظام كوني جديد. فبعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، اللتين شهدتا تصفيات للقوى الدولية الكبرى في العالم، تشكلت كتلتان كبيرتان: كتلة روسية تمثّلت في حلف وارسو، وكتلة أمريكية تمثّلت في حلف الناتو، ليُعلن عن نظام جديد سُمي بالنظام ثنائي القطبية.

ومع مرور الزمن، بدأت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، بين حلف وارسو والناتو، أي بين الاتحاد السوفياتي سابقًا والولايات المتحدة الأمريكية. وانتهت هذه الحرب الباردة بانتصار حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة، وتفكك الاتحاد السوفياتي في بداية العقد التسعيني من القرن الماضي، ليبدأ العالم مجددًا تشكيل نظام دولي جديد عُرف بالنظام أحادي القطب.

في تلك الفترة، تربعت الولايات المتحدة على عرش العالم، وبدأت تطرح سؤالاً استراتيجياً ضخماً: كيف ستدير هذا العالم؟ وقد طرح بريجنسكي، مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس جيمي كارتر (1977-1981)، سؤالاً مهماً مفاده: هل ترغب أمريكا في تعافي الصين وروسيا؟ وهل ستفهم تطلعات كل من تركيا وإيران وإسرائيل في تحقيق توازن عالمي يخدم مصالحها؟ ومتى ينبغي أن تتدخل أمريكا لإيقاف نمو هذه الدول؟

ومن أهم الأسئلة السياسية الأمريكية الدولية في تلك الفترة كان: كيف ستمكن الولايات المتحدة من تحديد اللحظة المناسبة لتقول للدول الصاعدة "كفى"؟ وماذا يجب فعله إذا وصلت هذه الدول إلى أقصى حدود قوتها ونفوذها؟

في مرحلة النظام أحادي القطب بقيادة الولايات المتحدة، انقسم العالم إلى قسمين: الأول يضم أمماً ذات طموحات كونية، والثاني أمماً ذات طموحات إقليمية. وقد كان هذا النظام الأحادي القطب يعيش باستمرار حالة من القلق والتوتر والخوف من صعود قوى دولية منافسة له.

لكن اليوم، نشهد بروز دول صاعدة ذات بعد وتأثير دولي يتسم بفاعلية تتجاوز السقف الأمريكي والمظلة الأمريكية. هذه الدول باتت تطالب بحصص عالمية أكبر، وتتحرك لفرض وجودها في الساحة الدولية، بهدف إعادة تشكيل الخارطة الجيوسياسية للعالم.

نشهد اليوم استقلالية متزايدة لمجموعة من الدول التي لم تعد خاضعة للهيمنة الأمريكية، بل باتت تتصرف خارج إطار نفوذها. ويفسر هذا التوجه ما يبدو أنه بداية

تشكل لنظام دولي متعدد الأقطاب. لكن، كما يخبرنا التاريخ، فإن تشكل نظام دولي جديد وتفكك النظام الذي سبقه لا يتم إلا عبر أحداث جذرية تغير توازنات العالم.

من هنا يبرز التساؤل: هل الأحداث المعاصرة التي يشهدها العالم اليوم كافية لانحياز النظام أحادي القطب الذي ترأسته الولايات المتحدة، وبناء نظام جديد تشارك في قيادته قوى متعددة وشركاء أكثر؟

في الواقع، تشير الأحداث الحالية إلى أن النظام الجديد متعدد الأقطاب قد بدأ بالتشكل، بل ربما هو قيد التفعيل بالفعل. فقد أصبحت هناك دول مستقلة عن القرار الأمريكي، وهو ما يدل على وجود رغبة دولية في إعادة صياغة النظام العالمي. ويُضاف إلى ذلك، تصاعد موجات التمرد الدولي ورفض القوانين الأمريكية، ما يعكس حالة من التذمر العالمي من دور الولايات المتحدة ك"شرطي للعالم".

من بين هذه الدول نذكر كوريا الشمالية، وإيران، وكوبا، وكذلك روسيا، وتركيا، والصين. كما نلاحظ تقدمًا عسكريًا روسيًا، إلى جانب نمو اقتصادي وصناعي صيني مقلق بالنسبة للولايات المتحدة. صحيح أن روسيا تمتلك قوة عسكرية مؤثرة، إلا أنها تعاني من ضعف اقتصادي يعوق حركتها. لكنها تعوض هذا النقص من خلال تحالف اقتصادي مع الصين، مما يعزز قدرتها على التوازن.

أما الصين، فهي الأخرى تمضي قدمًا في تعزيز قدراتها العسكرية، بما يمنح التحالف الصيني-الروسي ثقلًا كبيرًا في مواجهة الهيمنة الأمريكية. وقد مثلت سوريا ساحة مناسبة لروسيا لإرسال رسائل قوية للولايات المتحدة، باعتبارها قوة عسكرية متمردة على النظام الغربي.

كانت روسيا تدرك جيدًا أن اقتراب حلف الناتو من حدودها سيهدد مكانتها الاستراتيجية، خاصة في مجال الأسلحة الباليستية، ولهذا كان أحد أهم أسباب دخولها الحرب ضد أوكرانيا بتحالف صيني وإيراني، في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة، وبالتالي مع النظام أحادي القطب.

ومن بوادر انهيار هذه الهيمنة أيضًا، انسحاب الولايات المتحدة من عدة مناطق في الشرق الأوسط، ما أتاح صعود قوى إقليمية ملء الفراغ الأمريكي. وقد يكون من أبرز هذه التحولات، التغير في مصير النظام السوري في ظل التصادم والتصاعد الحاد بين القوى المتصارعة، إلى جانب تصاعد الحرب الإسرائيلية على غزة إلى مستويات خطيرة، أدت إلى تدخل قوى إقليمية فاعلة على رأسها إيران.

هذا التدخل، وما تبعه من انسحاب إيران من سوريا، فتح الباب أمام تركيا والمعارضة السورية للتقدم نحو مواقع السلطة في سوريا. وقد ساهمت هذه التحولات في تغيير العديد من المعايير والتوازنات داخل المنطقة العربية، محدثة تغييرات جيوسياسية من شأنها رسم ملامح جديدة للمنطقة.

وقد نلمس تسارع الأحداث في العلاقات الدولية بالعالم منذ سنة 2020، حين اجتاحت الأزمة الصحية كوكب الأرض وخيم السكون على معظم البلدان. وقد أطلق بعض الباحثين على هذه الأزمة اسم "حرب بيولوجية" بين الولايات المتحدة والصين، لما حملته من تداعيات عميقة على ميزان القوى العالمية، خاصة بعد الانهيارات الاقتصادية الكبرى التي مست الاقتصاد الأمريكي.

وقد سارعت الولايات المتحدة إلى اتهام الصين بأنها السبب الرئيسي وراء تفشي فيروس كورونا ونشره عالميًا، لتدخل القوتان في حرب إعلامية غير مسبوقة، اتسمت

بتضخيم الأزمة الصحية وممارسة سياسة التخويف والترهيب تجاه الشعوب. دخل العالم إثر ذلك في حرب صحية، اقتصادية، وتجارية، شملت كبريات الشركات الأمريكية والصينية والروسية الناشطة في مجال الأدوية واللقاحات.

وترافق هذا الوضع مع تزايد الاعتماد على العالم الرقمي، والاستخدام المكثف لتكنولوجيا المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعي. فقد وصلت، على سبيل المثال، الثروة التي ضختها شركة "فيسبوك" إلى نحو 500 مليار دولار في الخزينة الأمريكية. في المقابل، شهدت منصة "تيك توك" الصينية إقبلاً واسعاً، خاصة لاعتمادها على الفيديوهات القصيرة، في وقت لم يعد فيه المستخدمون يفضلون مشاهدة مقاطع طويلة.

وجاء هذا الميل الجماهيري نحو "تيك توك" متزامناً مع الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المصلين في المسجد الأقصى، والتي شملت الضرب والجرح وأحياناً القتل. وقد أثار ذلك موجة تضامن عالمية، عبّر فيها ملايين المستخدمين عن رفضهم لهذه الجرائم عبر تدوينات وهاشتاغات داعمة للقضية الفلسطينية.

لكن هذه التعبيرات قوبلت بحملات حجب وحذف من قبل شركات أمريكية، على رأسها "فيسبوك"، وهو ما غيّر وجهات نظر الكثيرين حول هذه المنصات، ودفع فئات واسعة من المستخدمين للانتقال إلى المنصات الصينية، ما منح الصين مكسباً جديداً في حربها التكنولوجية ضد الولايات المتحدة.

وبعد الأزمة الصحية التي سيطر عليها الإعلام العالمي لمدة عامين، دخل العالم مرة أخرى في أزمة خانقة مع اندلاع الحرب الروسية على أوكرانيا، والتي اعتُبرت حرباً

العالم العربي في ميزان النظام الدولي الجديد

دولية مؤثرة على الاقتصاد العالمي. فقد ارتفعت أسعار الغاز والمواد الغذائية، وتعمقت الأزمة الاقتصادية، لا سيما في أوروبا، التي تأثرت بشكل مباشر بأزمة الغاز الطبيعي.

ورغم ذلك، خرجت الولايات المتحدة بأقل الخسائر من هذه الحرب، إذ عملت على استبدال حلفائها الأوروبيين التقليديين بحلفاء جدد، وأدخلت أوروبا في مواجهة الروسية بشكل ناعم وغير مباشر. إلا أن العالم سرعان ما وجد نفسه أمام حرب جديدة، تمثلت في الحرب الإسرائيلية على غزة.

عملية "طوفان الأقصى"، التي اندلعت في السابع من أكتوبر 2023، مثلت لغزاً من ألغاز العلاقات الدولية، وفتحت أبواباً جديدة على صعيد التغيرات الجيوسياسية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط. ومن أبرز نتائجها ما يُعتقد أنه بداية سقوط نظام بشار الأسد، وتحرير سوريا، بالتوازي مع تصاعد التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني، حيث عبّرت الشعوب عن وحدتها في وجه الاحتلال.

هذا الضغط الشعبي العالمي على الحكومات المتواطئة مع المعسكر الغربي وإسرائيل، أعاد المنطقة العربية، وبالذات الشرق الأوسط، إلى مركز الأحداث الدولية. وبذلك أصبحت هذه المنطقة مرة أخرى قبلة للصراع والتوازنات، ومنصة تُعاد فيها صياغة النظام العالمي وفق معادلات جديدة، ترسمها أطراف متعددة، في مؤشر واضح على ولادة نظام دولي جديد متعدد الأقطاب.

3. الصراعات المعاصرة في المحيط العربي

تُعتبر منطقة الشرق الأوسط المنطقة الأكثر سخونة في العالم، سواء في التاريخ البشري القديم أو المعاصر. فالأحداث الحربية والصراعات التي تشهدها المنطقة العربية ليست وليدة اليوم أو حتى الأمس القريب، بل إن هذه الأرض كانت دوماً مسرحاً

لصراعات أزلية وأبدية. ويبدو أن المستقبل، أيضًا، لن يخلو من الحروب والنزاعات في هذه المنطقة.

فالشرق الأوسط أرض مقدسة، نزلت فيها الرسالات السماوية، ومنها انتشرت إلى العالم بأسره. ولطالما أخذت أحداث هذه المنطقة بعدًا دوليًا، ليس فقط في الحاضر، بل في الماضي، وحتماً في المستقبل. تدور السياسة الدولية حول هذه المنطقة، كما تدور الكواكب حول الشمس، ويكفي أن نعلم أن أعظم الإمبراطوريات في التاريخ لم تُعرف إلا بصراعاتها في الشرق الأوسط.

فمثلاً، الإغريق لم يكن لهم هذا الصدى لولا احتكاكهم بالشرق الأوسط، وكذلك التتار، والفاطميون، والصليبيون. حتى النهضة الأوروبية ذاتها تأثرت بعمق بالمنطقة العربية وبأخلاقيات الإسلام. وكانت معركة عين جالوت، التي وقعت في فلسطين، نقطة تحول كبيرة نقلت الأمة المغولية من الفساد والانحطاط إلى التحضر والتطور.

ولأن الحروب لم تتوقف في الماضي، فمن الطبيعي ألا تتوقف في الحاضر ولا في المستقبل. فعلى امتداد التاريخ، شهدت هذه الأرض معارك كبرى: من عين جالوت، إلى هزيمة نابليون بونابرت، إلى الصراع المستمر بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والمسلمين من جهة، والأوروبيين والأمريكيين من جهة أخرى. إنها بحق أرض الصراع الأزلي.

واليوم، ومع عودة دونالد ترامب إلى البيت الأبيض في ولاية ثانية، عاد العالم إلى دائرة التوتر المتصاعد. فقد استمرت الحرب في أوكرانيا، واشتدت المواجهة في غزة، إلى جانب احتمالية اندلاع حرب عالمية ثالثة بين الولايات المتحدة والصين حول منطقة تايوان الاستراتيجية، بدافع الصراع على الهيمنة في مجال الرقاقات الإلكترونية.

وكان ترامب، قبل الانتخابات، قد وعد بإنهاء الحروب وتحقيق السلام، إلا أن ما شهدناه كان عكس ذلك تمامًا؛ إذ فاقم الصراعات، وصعدّها إلى أعلى درجاتها. بل وأعلن حربًا تجارية، بفرضه رسومًا جمركية عالية على العديد من الدول، خاصة تلك

التي اعتبرها "معادية" للولايات المتحدة، وفي مقدمتها الصين. كما مارس ضغوطاً على كندا، ولوّح بفكرة ضمها إلى الولايات المتحدة، في خطوة وصفها كثيرون بالابتزاز السياسي.

في ظل ذلك، دخل ترامب في صدام مباشر مع قوات يمنية، وأثار الجدل مجدداً بتصريحه حول تهجير سكان غزة إلى دول الجوار، وتحويل غزة إلى "قطب سياحي"، في وقت يعيش فيه سكانها تحت القصف والجوع والدمار منذ عقود، وليس فقط منذ السابع من أكتوبر.

وقد شكل هذا التصريح إعلاناً غير مباشر لحرب نفسية ضد شعوب المنطقة، هدفها تقليل هيبة المقاومين في غزة، وإحباط عزيمة الشعوب الداعمة لهم، وتبديد مشاعر الفخر والنصر التي اجتاحت كثيرين بعد ما حققته المقاومة الفلسطينية، وعلى رأسها حركة حماس، من إنجاز ميداني بارز.

لقد جاءت هذه الإنجازات في مواجهة لا تقتصر على إسرائيل وحدها، بل تمتد إلى القوى الكبرى التي تناقض شعاراتها حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، التي لطالما قدمت نفسها كـ"حارس القيم" في العالم، بينما تدعم في الواقع أطرافاً تنتهك هذه القيم يومياً.

وكما يرفض بعض الحكام العرب مقترح ترامب القاضي بتهجير قسري لسكان غزة، ويضغط على ملك الأردن وغيره من الزعماء العرب لاستقبال اللاجئين الغزيين، فإنهم في المقابل يعلنون عن قمة عربية وُصفت بالفاشلة، لما شابها من إهدار للمال والوقت. ويُفهم هذا كله في إطار الحرب النفسية الممنهجة ضد الشعوب العربية، بهدف منعها من التمرد أو الاحتجاج على حكامها، وكي لا يُكشف أمر هؤلاء كمتواطئين مع الحكومة الإسرائيلية في عدوانها على قطاع غزة.

ولم تشهد منطقة الشرق الأوسط في تاريخها الحديث حرباً طويلة وممتدة مع إسرائيل كما هو الحال في "طوفان الأقصى"، تلك الحرب التي غيّرت بشكل جذري

ملاح المنطقة العربية. ويبدو أن إسرائيل تستغل هذه الحرب لتكريس وجودها كضرورة استراتيجية، في سياق دعم ترتيبات سياسية إقليمية مثل تعزيز الدور السوري في ظل رئاسة أحمد الشرع للجمهورية العربية السورية. كما أن الأطماع التوسعية الإسرائيلية، الرامية إلى توسيع مشروعها الاستيطاني نحو دول أخرى مثل مصر، الأردن، سوريا، والعراق، قد تؤدي إلى نشوب صراعات إقليمية كبرى.

ومن المرجح أن تتسع رقعة هذه الحرب لتتحول إلى حرب إقليمية متعددة الأطراف، بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران وأذرعها في المنطقة من جهة ثانية، وسوريا وتركيا من جهة ثالثة، وقد تظهر أطراف أخرى في المستقبل. والمنتصر في هذه الحرب المصرية سيملك دون شك الكلمة العليا في صياغة مستقبل المنطقة، وقد يصبح قطباً فاعلاً في النظام العالمي الجديد.

ومن هنا يمكن الجزم بأن أهم حدث استراتيجي عرفته المنطقة في الآونة الأخيرة، بل في التاريخ المعاصر ككل، هو الحرب المسماة بـ"طوفان الأقصى"، التي انطلقت شرارتها في السابع من أكتوبر. إلا أن هذا التاريخ ليس سوى نقطة تراكمية لانفجار الغضب، نتيجة تخطيط طويل الأمد امتد لسنوات ولا يزال مستمراً.

وبناءً على هذا، فإن الحرب لم تأت من فراغ، بل كانت نتيجة لصراعات سابقة قصيرة المدى، انتقلت من الصراع العربي-الإسرائيلي، إلى الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، ثم نحو صراع أكثر تعقيداً: صراع غزي-إسرائيلي-أمريكي بطابع عالمي. وكان من بين أبرز المحفزات لهذا الانفجار العسكري هو التوسع الاستيطاني الإسرائيلي، الذي لا يستهدف فقط قطاع غزة وفلسطين، بل يمتد حلمه ليشمل المنطقة العربية برمتها، وربما يصل إلى إفريقيا كذلك.

من هنا نفهم أن دفاع المقاومة عن غزة لم يكن مجرد دفاع محلي، بل هو دفاع عن مستقبل المنطقة العربية والإفريقية، لما لها من أهمية استراتيجية متزايدة في المدى المتوسط والبعيد.

وتتباين الآراء حول أسباب اندلاع الحرب؛ إذ يرى البعض أن إسرائيل كانت تخطط لتفكيك المقاومة وتدمير بنيتها، وهو ما دفع حركة حماس إلى المبادرة بالهجوم يوم السابع من أكتوبر. وإن صحَّ هذا الرأي، فإنه يعني أن المقاومة الفلسطينية كانت قد اخترقت المنظومة الاستخباراتية الإسرائيلية، وكشفت عن خططها وأوراقها. وفي وقت كان يُعتقد فيه أن إسرائيل تملك أحد أقوى أنظمة الاستخبارات في العالم، جاءت عملية "طوفان الأقصى" لتكشف واقعًا مختلفًا: كيان متصدّع وبنية داخلية مهترئة، تسبق في هشاشتها أي انهيار خارجي محتمل.

وبناءً عليه، يمكن القول إن هذه الحرب كانت ضرورية على عدة مستويات، أهمها المستوى المعرفي، حيث كشفت للعالم مدى اهتراء دولة إسرائيل وكيفية إدارة حوارها وحروبها بشكل فوضوي وغير مسؤول. لولا هذه الحرب، لما شهدنا فرحة السوريين الذين هاجروا من منازلهم لسنوات طويلة، كما أنها أسهمت في سقوط نظام الأسد. علاوة على ذلك، أعادت هذه الحرب الحياة للقضية الفلسطينية التي كادت أن تُنسى، وأحييت روح الأمة العربية والإسلامية، حيث شهدنا تظاهرات واسعة في عواصم دولية وعربية وإسلامية مؤيدة لفلسطين وناقدة لإسرائيل.

كما كشفت هذه الحرب هشاشة القمم العربية، إذ تبين أن تظاهرة شعبية واحدة أفضل بكثير من مئة قمة عربية يُلقى فيها قادة يجهلون حتى لغتهم العربية كلمات شكلية. وأظهرت أيضًا الوجه الحقيقي للولايات المتحدة وكل الدول والشركات الداعمة لإسرائيل أمام العالم، بعد أن كانوا يُقدمون أنفسهم كرموز للديمقراطية وحقوق الإنسان. كما برزت دول لم يكن يُتوقع منها هذا الموقف البطولي ضد الكيان الإسرائيلي، مطالبة بمحاكمة إسرائيل في المحاكم الدولية وإلقاء القبض على بنيامين نتنياهو أينما وجد.

ومن جهة أخرى، أفرز صعود ترامب مجددًا إلى الحكم حالة من الفوضى في الأوساط السياسية والاقتصادية، وظهرت انشقاقات داخل حكومته في فترة وجيزة لا تتجاوز الثلاثة أشهر. فقد تكبد مستشاروه، مثل إيلون ماسك، خسائر فادحة دفعت

الأخير إلى تقديم استقالته، كما أعلن ترامب استقالة العديد من الموظفين في المؤسسات الفيدرالية إذا لم يمثلوا لقراراته التي اعتُبرت انقلابية وجنونية، مما أحدث اختلالات في الأسواق العالمية والبورصات.

هذه الأحداث قد تدفع رجال الأعمال والشركات الكبرى إلى الانتقام، والذي قد يتجسد في دعم مواقف معادية للولايات المتحدة الترابية وإسرائيل، على رأسها الصين ودول مجموعة البريكس والقوى الآسيوية الصاعدة. العالم اليوم لم يعد يرضى عن سياسة أمريكا الراهنة التي تدعم جرائم الاحتلال الإسرائيلي.

لكن معركة مثل "طوفان الأقصى" غيرت موازين القوى في المنطقة والعالم، فلم يعد العالم كما كان قبل السابع من أكتوبر، إذ تغيرت المفاهيم والآراء، وأصبح من الواضح أن إسرائيل لن تبقى على حالها السابقة. وحتى لو اعتبرنا أن لإسرائيل مستقبلاً، فهل سيبقى هناك من يستثمر معه؟ خصوصاً إذا فقدت القوة التي تمنحها لها العلاقة مع البيت الأبيض وصمت الدول العربية المتواطئة معها؟

أما إذا فقدت الدولة قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فهل يبقى لها شيء يُسمح لنا بتسميتها دولة؟ ومما يعكس هذا الضعف، هو تفكك مجلس الحرب الذي شكله نتنياهو مع اندلاع الحرب، حيث شهد استقالات متتالية لأعضاء بارزين مثل وزير الدفاع يوآف غالانت، ورئيس الشاباك، الذي تسبب استقالته في زلزال سياسي، ومسؤول الأمن القومي بن غفير الذي استقال إثر اتفاق وقف إطلاق النار، ثم سموتريتش الذي استقال على خلفية خلافات داخلية.

وعندما نتابع جلسات البرلمان والحكومة الإسرائيلية، نجد مشاحنات كلامية وأحياناً مشاجرات تصل إلى التلبس بالأيدي والطرده، في مؤشرات واضحة على حالة من اللا استقرار الداخلي. إسرائيل تعيش حالة توتر مستمرة، وترأسها حكومة فوضوية غير متجانسة، كل عضو فيها يتنازع مع الآخر، ما يجعلها تعيش حرباً داخلية وجوذية. فكيف لدولة بهذه الحالة أن تنظم أوضاعها الخارجية؟

في ظل هذا الواقع، تعتقد إسرائيل أن حربها الحالية هي حرب وجودية ومصيرية، إما أن تنتصر وتحافظ على أمنها القومي والوجودي، أو تنكمش وتهار. واليوم، وبحسب المشاهد، تتجه إسرائيل نحو الانكماش والانهيار والاندثار، إذ لا تملك سياسة حربية واضحة لإدارة الحرب، ولا تظهر استراتيجية محترمة تُبرز قوتها العسكرية والسياسية، بل تعتمد فقط على قتل المدنيين الأبرياء ظناً منها أنها بذلك ستضعف حركة حماس وتقطع أذرعها.

لكن هذه الرؤية واهمة، فحركة حماس ملتزمة باتفاقيات وقف إطلاق النار وبنودها، وهي بذلك تواجه انتهاكات إسرائيل للقوانين الدولية التي تسفر عن مذابح بين المدنيين، ما يزيد الضغط الدولي على الحكومات، وعلى حكومة نتنياهو بالذات، لا سيما بسبب ملف الأسرى واستهداف نقاط حساسة في إسرائيل، ما يشل حركة الدولة سياسياً واقتصادياً.

لذا، فإن ما تفعله إسرائيل هو ضرب من الجنون، إذ تفقد بذلك سمعتها الدولية، وتظهر بمظهر الدولة الهمجية التي تضرب وتخطئ، بينما تعكس ممارساتها ضعفاً استراتيجياً واضحاً واستنزافاً لمقومات الدولة ومقدر بالتالي، فإن من مصلحة إسرائيل إيقاف الحرب والالتزام باتفاق هدنة طويلة الأمد، لا الاستمرار في المواجهة، خصوصاً أن المقاومة الفلسطينية تدعم اتفاق وقف إطلاق النار بشرط وقف الإبادة الجماعية في صفوف سكان غزة. لقد أحدثت هذه الحرب عزلة دولية واسعة لإسرائيل، حيث انتقدت أغلب دول العالم موقفها من استمرار القتال، بما في ذلك دول أوروبية، تحت ضغط شعبي واقتصادي وسياسي متزايد لوقف الحرب.

وعليه، فإن الحرب ستتكبد فيها إسرائيل وحلفاؤها خسائر فادحة، وربما يؤدي هذا إلى تصدع الكيان الإسرائيلي وتفككه. البعد الأهم يكمن في الانقسامات الداخلية الحادة داخل إسرائيل والولايات المتحدة نفسها، مما قد يدفع الأوضاع نحو حرب أهلية خطيرة أو حالة من الفوضى التي تعيد إنتاج واقع استقرار هش كما حدث في الحروب البرية السابقة التي انتهت باتفاقيات ضعيفة ومكسورة الأهداف.

على الصعيد السياسي، يعيش رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو صراعًا حادًا مع المحاكم العليا والمحاكم الدولية، فضلاً عن مواجهات مع النقابات ورجال الأعمال والشركات الكبرى، ما يضع مستقبله السياسي موضع شك، ولا يستبعد أن ينتهي مصيره كسلفه في القادة الذين سقطوا، خاصة إذا تخلت عنه الولايات المتحدة. بعبارة أخرى، هي مسألة وقت فقط قبل أن تنتهي هذه الحقبة السياسية.

وفي الخلاصة، سواء طالت الحرب أو قصرت، فإنها ستمهد لعالم جديد يوقف الطغيان الإسرائيلي والتبجح الأمريكي، وترسو سفينة العالم على قطب دولي جديد في المنطقة، لما لهذه المنطقة من أهمية جيوسياسية تمكنه من تحقيق مكاسب وطموحات في إطار النظام الدولي متعدد الأقطاب.

4. الخاتمة

إن ما نشهده اليوم من تحولات جيوسياسية عميقة، ومن تحديات وأزمات سياسية واقتصادية عنيفة، إضافة إلى حروب طاحنة، يؤشر إلى أننا على مشارف تشكيل تكتلات دولية جديدة تُفضي إلى نظام دولي جديد يعرف بالتعددية القطبية، وهو أهم واقع وأسمى هدف استراتيجي في العالم اليوم.

وبالتالي، فإن أهم السيناريوهات المرجحة هي:

• **الحرب الاقتصادية الدولية:** مع إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رفع الرسوم الجمركية، وعدم استقرار أسواق الأسهم والبورصات العالمية، نلاحظ بوادر تحولات اقتصادية عميقة في المستقبل القريب، قد تشهد تنافسًا بين الدولار و عملات دولية جديدة أو حتى عملات رقمية بديلة.

• **الحرب الرقمية والذكاء المفتوحة:** التي يحتمل أن تنشب بين الصين والولايات المتحدة، هذه الحرب ستُخل بتوازنات القوى العالمية، وتعيد ترتيب الأوراق لدى مختلف الدول، حيث قد تُجبر الولايات المتحدة على التكيف مع

الواقع الجديد الذي يشهد صعود قوى دولية جديدة، وإلا فستواجه احتمالية الانهيار كأكبر قوة عرفها القرن العشرين.

• **الوضع في العالم العربي:** فلولا لما شهدنا هذه الأحداث والتغيرات. وإذا استمرت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، فمن المحتمل أن تتسع رقعة الصراع إلى نطاق أوسع، ما سيحرق الأخضر واليابس، وستندمج فيه كافة القوى الصاعدة والقديمة لتشكيل عالم حديث متعدد الأقطاب. وستدخل أطراف الحرب كل من له مصالح في هذا الصراع، لتتحول إلى ملحمة كبرى قد تفتح أبواب حرب عالمية بين المعسكر الغربي والشرقي ودول المعسكر الإسلامي مثل تركيا وإيران.

• **الاستنتاج الأهم:** هذه الحرب ستغير ملامح العالم وليس فقط خارطة الشرق الأوسط. نحن على أعتاب أضخم الأحداث في التاريخ الحديث، في نظام متعدد الأقطاب يتم فيه تبادل العملات الرقمية، ويصبح الاقتصاد الرقمي هو المنهج في الحياة الاجتماعية. في المستقبل، سيضعف المعسكر الغربي، ويُجبر على التحالف مع قوى القطب الإسلامي في العقود القادمة.

الحرب على غزة منظور اسرائيلي - غربي

The war on Gaza is an Israeli-Western perspective

أ.د. إبراهيم حردان مطر

تخصص علوم سياسية ودراسات دولية، الجامعة العراقية، العراق

ملخص الدراسة

كثيرا ما تكررت مشاهد العنف التي تقودها اسرائيل بحق اهل فلسطين من اجل تصفيتهم وانهاء وجودهم ومطالبهم بعدالة قضيتهم موظفة بذلك قدراتها ودعم الدول الغربية لها مع اسناد سياستها الى مبررات قانونية لإضفاء الشرعية على نهجها، واصفة سلوك المقاومة بأنه سلوك ارهابي لجماعات تصفها بالإرهابية وانها تواجه تحدي خطير من قبل قوى غير متحضرة. هذا ما سيتم تناوله في هذا الايجاز البحثي وكيف وظفت اسرائيل مبدأ حق الدفاع عن النفس كأساس لحربها على اهالي قطاع غزة بشكل افضى الى ابادة جماعية تنكرها هي رغم حقيقتها.

الكلمات المفتاحية: طوفان الاقصى، عملية السيوف الحديدية، حق الدفاع عن النفس، حالة الضرورة، محكمة العدل الدولية.

Abstract

Scenes of violence led by Israel against the people of Palestine in order to liquidate them and end their existence and their demands for the justice of their cause have often been repeated, employing its capabilities and the support of Western countries for it while basing its policy on legal justifications to legitimize its approach, describing the behavior of the resistance as terrorist behavior by groups it describes as terrorist and that it faces a dangerous challenge. By uncivilized forces. This is what will be discussed in this research brief and how Israel used the principle of the right to self-defense as the basis for its war against the people of the Gaza Strip in a way that led to genocide, which it denies despite its reality.

Keywords: Al-Aqsa Flood, Operation Iron Swords, the right to self-defense, state of necessity, the International Court of Justice.

1. مقدمة

افضت سياسة الاحتلال الاسرائيلي وتعسف سلوكها تجاه سكان الاراضي المحتلة ومنذ اعلان قيام (دولة اسرائيل 1948) وحتى الوقت الراهن الى تكرار الاحداث المأساوية بحق اهل فلسطين وافرازات الحرب التي شنتها ضد اصحاب الارض متذرعة بحجج قانونية وغير قانونية لإضفاء الشرعية على سياستها وحروبها ومستندة الى الدعم الغربي ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية وهدفها الاساس تصفية القضية الفلسطينية برمتها والتعامل مع اهلها على انهم اقلية ستنتهي مع الوقت بين الاقصاء والابادة والتصفية والتهجير، مقابل هذه السلوكيات والسياسات هناك جبهة اخرى ممثل باهل الارض واصحاب الحق ابت الانصياع او الانكسار ازاء حجم التحديات واستمرت في المقاومة رغم فداحة الضرر الناتج ورغم انعدام التكافؤ في القدرات ايماننا منها بعدالة قضيتها.

تأتي اهمية هذه الدراسة البحثية الموجزة في كونها تتناول احدى المواضيع التي كانت ولا زالت تشكل صلب السلم والامن في منطقة الشرق الاوسط تحديدا بحكم اهميتها الاقليمية والدولية وكونها تشكل اشكالية لم تجد لها حلاً جذرياً بل انها اخذت مسار التصفية بحكم فارق القوة والقدرة بين اطرافها.

إن الهدف من هذه الدراسة البحثية الموجزة هو تناول المنظور الاسرائيلي والغربي للحرب على غزة ولكشف الحجج التي وظفتها اسرائيل كمبرر لحربها وكيف استعارت مفاهيم (الإرهاب، داعش) في خطابها الاعلامي لوصف افعال المقاومة الفلسطينية في غزة من اجل تجريم الافعال وشرعنة الرد، بل وظهار نفسها انها لازالت تواجه خطر الابادة ويستلزم تظافر الجهود الدولية لمواجهة مثل هذه الاخطار.

2. تطور مسار الأحداث ما قبل الحرب

عرفت القضية الفلسطينية منذ الربيع العربي مرحلة كمون وخفوت لافلت للنظر في أولويات المجتمع الدولي وفي حساباتها قضية مركزية في الشرق الأوسط، من خلال تغييب كل جهود التسوية التي توقفت منذ العام 2014 وتعزيز التطبيع بين الأنظمة العربية وإسرائيل وعزل قطاع غزة. هذه الدينامية المتعمدة والمتحورة استهدفت إنهاء القضية الفلسطينية من خلال اقتراح صفقة القرن واستمرار التخويف من التغول الإيراني.

عبّرت حماس في أكثر من موضع عن إدراك دقيق ومسبق بطبيعة التحولات في المجتمع الإسرائيلي والسياسة الإسرائيلية، فالمجتمع الإسرائيلي أصبح يميل على نحو متسارع نحو اليمين المتطرف وبدأت مؤسسات إسرائيل العسكرية والسياسية تأخذ تدريجاً سمة المجتمع المتطرف⁽¹⁾

رغم ما تشكّله تلك المعركة - طوفان الأقصى - التي شنتها الفصائل الفلسطينية في 7/10/2024 من مباغطة لإسرائيل من حيث كونها تشكّل أكبر ضربة موجّهة لها في تاريخها، إلا إن ثمة مقدمات كانت تنذر باشتعال الأوضاع وذلك وفقاً لعدد من المحفزات هي:⁽²⁾

❖ انسداد الأفق أمام حل الدولتين؛ فبعد مرور 30 عاماً على أوصلو تبين أنها لم تخدم إلا المشروع الإسرائيلي الاحتلالي الاستيطاني والذي تم تعزيزه من خلال الشروع في تنفيذ «مشروع الضم» الزاحف في الضفة الغربية والقائم على الضم والتهجير مع استكمال تهويد القدس والتمهيد لمحو المقدسات الوطنية خاصة المسجد الأقصى لصالح ما يسمى «الهيكل الثالث» مع تصاعد وتيرة اقتحامات المسجد الأقصى في إطار الحرب الدينية التي شنتها تلك الحكومة المتطرفة وفي هذا الشأن أشار تقرير صدر عن محافظة القدس إلى أن عدد المقتحمين منذ مطلع العام 2023 تجاوز الأربعين ألفاً.

❖ أولوية التطبيع عن تسوية القضية الفلسطينية؛ حيث أعطت إدارة بايدن الأولوية لتعزيز علاقات التطبيع العربي الإسرائيلي مع الاقتصار على التعاطي مع القضية من منظور إنساني تحت مسمى السلام الاقتصادي في مقابل تركيز الإدارة على إزالة العراقيل أمام التطبيع السعودي - الإسرائيلي، حيث كانت الإدارة الأمريكية تعد قبل المعركة زيارة لوزير خارجيتها أنتوني بلينكن لكل من الرياض وتل أبيب لاستكمال مفاوضات التطبيع بينهما.

❖ توجه حكومة نتنياهو نحو حسم الصراع وتنفيذ سياسة الاغتيال لقيادات في المقاومة والتضييق على الأسرى. فضلاً عن اقتحام المدن الفلسطينية في الضفة كما حدث في أريحا ونابلس وجنين إلى جانب التضييق على الفلسطينيين في الداخل المحتل (فلسطيني 48).

وفي ظل هذا المشهد المتغير الذي يعرف تحولاً كبيراً في طبيعة النسق الجيوسياسي في منطقة الصراع في الشرق الأوسط، ترعى الولايات المتحدة الأمريكية مسار تطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية آخرها تقريب وجهات النظر بين السعودية وإسرائيل وهو تحول جيوسياسي كبير سيؤدي في حال

وقوعه إلى تجاوز القضية الفلسطينية وترك مصير الفلسطينيين تحت تصرف حكومة نتنياهو المتطرف اذ تعمل الولايات المتحدة على دمج إسرائيل بالمنطقة وبناء نظام إقليمي جديد بالموازاة يواصل مسار التطبيع طريقه من دون عقبات كبيرة ويأخذ موضعه في البيئة السياسية للمنطقة بما له من تأثير في الموقف العربي والإسلامي من الدولة العبرية.

في مواجهة ذلك كان لدى الفلسطينيين خيارات محدودة لمنع تصفية القضية وحسم الصراع لمصلحة إسرائيل، والتصدي لمسار دمج إسرائيل في المنطقة. والخيار الأكثر فاعلية هو المقاومة العسكرية من جانب غزة التي صممت شكل المعركة الحالية كي تعطل مسارات تصفية القضية وتجاوز الفلسطينيين عبر مسارات محلية وإقليمية ودولية.⁽³⁾

3. نتائج عملية طوفان الأقصى والرد الاسرائيلي

ستفاق الاحتلال الاسرائيلي فجر يوم السبت 7 تشرين الاول 2023 على اقتحام مئات المقاتلين الفلسطيني لبعض مقراته ومستوطناته التي أقامها في محيط قطاع غزة في عملية سميت ب طوفان الأقصى اذ سيطروا على عشرات الثكنات العسكرية واشتبكوا مع قوات الاحتلال ما تسبب في مقتل ما يزيد على 1400 شخص وجرح نحو 5431 آخرين من العسكرين والمدنيين وتمكن المقاتلون الفلسطينيون من اسر ضباط وجنود واحتجزوا مدنيين تصل اعدادهم نحو 250 شخص.⁽⁴⁾ ردت قوات الاحتلال الاسرائيلية على هذا الهجوم المفاجئ في اليوم نفسه بحملة عسكرية سمتها (عملية السيوف الحديدية) وهي الحرب العدوانية الاعنف على قطاع غزة منذ اعادة الانتشار في القطاع في العام 2005 ولم يخف القادة الاسرائيليون الاعلان عن ان هذه الحرب تستهدف الانتقام من سكان القطاع على الرغم من ان اسرائيل مازالت تفرض حصارا على القطاع بحكم سيطرتها الفعلية على المجال البري والجوي والبحري للقطاع منذ العام 2007.⁽⁵⁾

4. المبررات الاسرائيلية للحرب على غزة

مازج الرد الاسرائيلي بين الاعتبارات السياسية والتاريخية والحضارية وفقا لمنظور الضحية والجلاد اذ يمثل هجوم 7 تشرين الاول وفقا للرواية الإسرائيلية حدثا جامعا للفظائع التاريخية التي تعرض لها اليهود وتعرضت لها دولة إسرائيل وتعرض لها العالم المتحضر. تقف إسرائيل وفقا لهذا في مواجهة حدث

يربط بين تاريخ ممتد من الهولوكوست والماضي البعيد نسبيا والخاص بهجوم 11 ايلول إلى الماضي القريب والخاص بفظائع داعش في مواجهة هجوم كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية - حماس وغيرها من الفصائل الفلسطينية على عدد من مستوطنات غلاف غزة في السابع من تشرين الاول 2023 اذ تم سريعا استدعاء هجمات الحادي عشر من ايلول 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الخطاب الإسرائيلي والتعامل وفقا لهذا مع التحركات الإسرائيلية والغربية تجاه قطاع غزة بوصفها جزء من « الحرب على الإرهاب » ومواجهة محور الشر « و » الدول المارقة « كما تحدث عنها سابقاً كل من الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ونائب وزير الخارجية جون بولتون.⁽⁶⁾ واعتمدت سردية « دعشنة » حماس في هذا السياق على أبعاد مختلفة أبرزها محاولة التشبيه بين أفعال داعش المعروفة بما فيها قطع الرؤوس وما حدث في مستوطنات غلاف غزة. ومن أجل تعميق الرفض وبشاعة ما حدث تم الحديث عن قطع رؤوس 40 طفل إسرائيلي في المستوطنات والتي حرص الإعلام الإسرائيلي والغربي على التعامل معها بوصفها مدنا أو تجمعات سكنية أو قرى بهدف الفصل بينها وبين فكرة لاحتلال من ناحية وتعميق الأثر السلبي للحدث من ناحية أخرى بالإضافة إلى الحديث الإسرائيلي عن عمليات أخرى من التعذيب والتمثيل بالجثث وغيرها التي انطلقت من تسريبات إسرائيلية إلى قنوات إخبارية إسرائيلية وأمريكية ومنها إلى غيرها من المصادر والجماهير عبر العالم في حين لم يتم عرض ما يؤكد حدوث مثل تلك الجرائم، وخاصة قطع الرؤوس كما نُقل عبر وسائل الإعلام عن عناصر في الجيش الإسرائيلي.⁽⁷⁾

كما تم الاستناد إلى رواية استعادة مخاوف الشتات اليهودي وخاصة بعد أن وصف نتنياهو في حديثه مع بايدن في العاشر من تشرين الاول هجوم حماس بأنه الأعنف وأن إسرائيل لم تشهد وحشيته منذ الهولوكوست بالإضافة إلى حديث نتنياهو في خطابه للأمم في ٢٥ تشرين الاول عن التهديدات التي تواجه إسرائيل التي تجد نفسها في خضم معركة من أجل وجودنا متعبدا بالقضاء على حماس من خلال تدمير قدراتها العسكرية والإدارية كما قارن نتنياهو في عدد من اللقاءات وخاصة مع مسؤولي الدول الأوروبية بين ما فعلته حماس وكل من النازيين وتنظيم داعش كما حدث في اللقاء الذي جمع بينه وبين المستشار الألماني أولاف شولتس في 17 تشرين الاول والذي أكد خلاله إن حماس هي النازية الجديدة هي داعش وفي بعض الحالات أسوأ من داعش منطلقا من هذا التشبيه للتأكيد على ضرورة توحيد العالم

لهزيمة داعش والوقوف خلف إسرائيل لهزيمة حماس بوصفها جزء من محور الشر المكون وفقاً له من إيران وحزب الله وحماس⁽⁸⁾.

وضمن السياق ذاته في التوظيف الإسرائيلي لكل الوسائل المتاحة لخلق المبررات الساندة لردّها، إذ استندت على ركيزتين بهذا الصدد هما:⁽⁹⁾

الركيزة الأولى: أكدت على "حق الدفاع عن النفس" لشرعنة ردها العسكري وما نتج عنه من مجاز جماعية بحق أهل غزة. فهي تستند إلى المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة الخاص بحق الدول في الدفاع عن نفسها إذا ما تعرضت لعدوان.

الركيزة الثانية: حالة الضرورة، دائماً تخترق دولة الاحتلال الإسرائيلي كافة القوانين الدولية والقانون الدولي الإنساني تحت غطاء حالة الضرورة وهي لا تتفق مع ما تمارسه دولة الاحتلال الإسرائيلي من انتهاكات فادحة في قطاع غزة.

الجدير بالذكر، أنه على الرغم من سلامة الطرح من حيث المبدأ وفقاً لشروط حق الدفاع عن النفس التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة غير أنه ما ينطبق على الدول الأخرى لا يمكن أن ينطبق على التفسير والتبرير الإسرائيلي لحربها على قطاع غزة، كونها هي كيان احتلال وكل ما تقوم به يعد مخالفاً لقواعد القانون الدولي.

ومن أجل إن تخلي إسرائيل مسؤوليتها الدولية فيما يخص تصرفاتها إزاء المناطق التي تحتلها فقد سبق وأن أعلنت في 2007/9/19 عن أن قطاع غزة يعد كياناً معادياً لها وأن حركة حماس هي منظمة إرهابية وكل ما يترتب على ذلك من نتائج دولية فاتحة المجال أمامها لاتخاذ التدابير التي تجدها مناسبة وفقاً لذلك.⁽¹⁰⁾

تنطوي الحرب الإسرائيلية على غزة على جملة أهداف يمكن إجمال أهمها بالآتي:⁽¹¹⁾

❖ طرد السكان الأصليين وتهجيرهم وإبادتهم

ظل هاجس إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين هدفاً استراتيجياً ثابتاً في الفكر والعقيدة الصهيونية منذ البدايات الأولى للحروب الصهيونية في فلسطين على يد منظمات الهاجانة والأرغون، بدا

واضح ا مع بداية الحرب الإسرائيلية على غزة أن تهجير سكانها هدف ا استراتيجي ا للحرب أكدته إسرائيل " وتبنته أميركا، وسعتا معاً إلى تنفيذه من خلال محاولتهما اللجوء لتهجير فلسطيني غزة إلى سيناء وقد شكل ذلك أبرز أجندة الدبلوماسية الأميركية في المنطقة خلال الشهر الأول للحرب وقد عبرت مصر عن رفضها لعملية التهجير وساندتها دولاً عربية كثيرة. لقد أكدت وقائع الحرب الإسرائيلية المستمرة في غزة أن الإفراط في استخدام العنف وقتل وجرح آلاف الأطفال والنساء والشيوخ وحرمان سكان غزة من المياه والطعام والدواء وتدمير آلاف المساكن وعشرات المستشفيات والمدارس يهدف إلى طرد الفلسطينيين وتهجيرهم وإبادتهم.

❖ ضرب الحاضنة الاجتماعية وتصفية المقاومة.

ظلت القيادة الإسرائيلية تعمل خلال كل الحروب التي شنتها على غزة لتجعل منها أرضاً محروقة ومكاناً غير صالح للسكن وهذا الذي يفسر الحصار الذي ضرب عليها منذ اشتداد عود المقاومة في العام 2006 وحتى الآن ويفسر سعيها الدؤوب إلى اختراق هذا المجتمع وإلى ضرب منظومته القيمية بشتى السبل لتتكامل مفاعيل الحرب الناعمة مع الحرب القذرة الأخرى التي تُزهق فيها الأرواح وتُدمر فيها الحياة، والهدف من كل ذلك هو ضرب هذا المجتمع ومن ثم ضرب المقاومة واجتثاثها.

5. مواقف الدول الغربية من الحرب الاسرائيلية على غزة

كما هو معتاد من مواقف للدول الغربية لاسيما الولايات المتحدة الاميركية والمعروفة بمساندتها ودعمها غير المشروط للسياسات الاسرائيلية وتبنيها لطروحاتها وتبريراتها لسلوكها بمختلف ابعاده ازاء مصالحها مهما كانت تلك السلوكيات متجاوزة للقواعد القانونية الدولية وللمواثيق والاعراف، بل وانها توظف الوسائل كافة وتكيف القوانين الدولية طبقا لسياسات اسرائيل لتجعل منها سندا شرعيا لسلوكها، ففي 7/ تشرين الأول/ 2023 طرح الرئيس الأميركي جو بايدن فكرة أن "لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها وشعبها"، ثم في 15/ تشرين الأول، أكدت دول الاتحاد الأوروبي ما سمّته: "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وفقاً للقانون الدولي". وفي 21/ تشرين الأول، قال بيان أميركي أوروبي مشترك: إن لإسرائيل حق الدفاع عن نفسها بما يتماشى مع القانون الدولي والإنساني. وفي 22/ تشرين الأول أفاد مصدر دبلوماسي في مجلس الأمن الدولي للجزيرة بأن الولايات المتحدة توزع مشروع قرار يؤكد ما تسميه: "حق إسرائيل الأصيل في الدفاع عن النفس"، وفق المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة. في 23/ تشرين

الأول، عُقد اجتماعٌ عبر الهاتف دعا إليه بايدن، وجمع كلاً من: الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشار الألماني أولاف شولتز، ورئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني، ورئيس الوزراء البريطاني ريشي سوناك ورئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو، وأُصدر بعده بيان مشترك يعلن دعم هذه الدول جميعاً لـ"حق إسرائيل في الدفاع عن النفس ضد الإرهاب"، ولكنهم طالبوا إسرائيل -أيضاً- بالالتزام بالقانون الدولي الإنساني، وحماية المدنيين.⁽¹²⁾

على الجانب الآخر، يأتي الموقف الأمريكي الداعم لإسرائيل دعماً «غير مشروط»، وتأييد مطلق لضربات الجيش الإسرائيلي المتواصلة على قطاع غزة وهي ضربات جميعها ضد أهداف مدنية تشمل المساكن ومرافق المياه والصحة والمدارس... الخ، وليس منها أهداف عسكرية على الإطلاق. كما حركت الولايات المتحدة حاملة طائرات لتصل إلى شواطئ غزة على البحر المتوسط. لقد جاء الموقف الأوروبي متوافقاً مع الموقف الأمريكي إلى حد كبير. بجانب قرار المفوضية الأوروبية بتعليق المساعدات التنموية لفلسطين ثم التراجع عنه في اجتماع وزراء الخارجية الأوروبيين بحجة أن المفوضية قد تجاوزت صلاحياتها، صدرت قرارات أخرى من بلدان أوروبية أيضاً بتعليق مساعداتها بحجة قيد المراجعة منها ألمانيا وبريطانيا والنمسا والدنمارك والسويد. في حين رفضت فرنسا واسبانيا وإيرلندا والبرتغال ولوكسمبورج وهولندا وبلغاريا القرار علناً في حين أكدت النرويج أن تقديم المساعدات لسكان غزة لابد أن يكون أولوية رئيسة في ظل الوضع القائم.⁽¹³⁾

6. دعوى جنوب إفريقيا والرد الإسرائيلي الغربي

قدّمت جنوب أفريقيا إلى محكمة العدل الدولية في 29 كانون الأول 2023، مذكرة قانونية من 84 صفحة تهم فيها إسرائيل بارتكاب إبادة جماعية ضد الفلسطينيين في غزة وتوثق انتهاك التزاماتها بموجب "اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها" المعروفة بـ"اتفاقية الإبادة". والتمست جنوب أفريقيا من المحكمة البتّ بهذه الدعوى واتخاذ تسعة تدابير مؤقتة شملت طلب إلزام إسرائيل بتعليق فوري لعملياتها العسكرية في غزة، والكف عن ارتكاب أي من أفعال الإبادة الجماعية الواردة في اتفاقية الإبادة. والامتناع عن التحريض، ومعاقبة الأفعال التي تشجّع على الإبادة الجماعية، وضمان الحفاظ على الأدلّة، وتقديم تقرير إلى المحكمة حول الإجراءات كلها المتخذة. وبعد استماع المحكمة إلى مرافعتي كل من جنوب أفريقيا وإسرائيل في جلستين علنيتين في كانون الثاني 2024، خلصت إلى أن "بعض

الحقوق التي تطالب بها جنوب أفريقيا والتي تسعى لحمايتها هي على الأقل معقولة بما في ذلك حق الفلسطينيين في غزة في الحماية من أعمال الإبادة الجماعية. وقبلت المحكمة الدعوى وأصدرت أمرًا يُلزم إسرائيل بستة تدابير مؤقتة تستجيب إلى جل مطالب جنوب أفريقيا.⁽¹⁴⁾ عادت جنوب أفريقيا إلى المحكمة في 6 آذار بطلب طارئ يلتزم اتخاذ تدابير مؤقتة إضافية في ضوء حالة المجاعة الواسعة الناجمة عن استمرار الانتهاكات الإسرائيلية واشتملت التدابير على الاتي⁽¹⁵⁾:

✓ التدبير المؤقت الأول: قررت المحكمة بالإجماع يتعين على إسرائيل "اتخاذ التدابير اللازمة والفعالة لضمان توفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية الملحة، من دون عوائق وعلى نطاق واسع من الجهات المعنية كلها.

✓ التدبير المؤقت الثاني قررت المحكمة أن على إسرائيل ضمان وبشكل فوري عدم ارتكاب قواتها العسكرية أفعالاً تشكل انتهاكاً لأي من حقوق الفلسطينيين في غزة باعتبارهم مجموعة مشمولة بالحماية وفقاً لاتفاقية الإبادة بما في ذلك منع أي إجراء يحول دون توصيل المساعدات الإنسانية المطلوبة بشكل عاجل.

✓ التدبير المؤقت الثالث: قررت المحكمة أن تقدم لها إسرائيل "تقريراً عن التدابير كلها المتخذة لتنفيذ هذا القرار في غضون شهر واحد من تاريخ إصداره.

بعد فشلها في ردّ دعوى جنوب أفريقيا وجدت إسرائيل نفسها ملزمة بمواصلة معركة قانونية تشمل تقديم تقارير مفصلة عن مدى امتثالها للقانون الدولي اذ قبلت الامتثال للمحاكمة بغرض إقناع المحكمة والرأي العام الدولي بمظلوميتهما عبر استحضار ذكرى الهولوكوست وتوظيف مظلومية اليهود التاريخية من جهة وتصوير هجوم "طوفان الأقصى 7 (تشرين الأول) 2023 على أنه أحد تجليات الإبادة الجماعية التي تمارس عليها وتُجرها على خوض حرب دفاعاً عن النفس. وقال المحامي البريطاني مالكوم شو Malkom Shaw في معرض مرافعته: "إن كانت هناك أعمال قد توصف بأنها إبادة جماعية، فإنها تُرتكب ضد إسرائيل"، من طرف حماس التي وصفها ب منظمة إرهابية إبادية . إلا أن قبول المحكمة دعوى جنوب أفريقيا وإصدارها تدابير احترازية يعد أبطل الحجة الزاعمة بأن إسرائيل دولة أسسها ضحايا الإبادة الجماعية ولا يمكن أن تكون ضالعة أو مسؤولة عن هذه الجريمة وأفشل في الوقت ذاته محاولتها توظيف الهولوكوست للإفلات من المساءلة.⁽¹⁶⁾

أعلنت إسرائيل عن رفضها للتهمة الموجهة لها وادعت بأنها لا أساس لها من الصحة إذ كتب المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية (ليئور حيات) على منصة (أكس) "ترفض إسرائيل باشمئزاز أمام الافتراء الكاذب الذي نشرته جنوب أفريقيا ودعواها محكمة العدل الدولية". ونفى رئيس وزراء إسرائيل (بنيامن نتانيا هو) اتهامات جنوب أفريقيا وإشادته بجيشه الذي أكد أنه يتحلى بأخلاقيات لا مثيل لها في حرب غزة وعقب على ما جاء في الدعوى "نحارب الإرهابيين ونحارب الكاذب" المقدمة ضد إسرائيل بالقول "رأينا اليوم عالماً مقلوباً رأساً على عقب فإسرائيل متهمة بارتكاب إبادة جماعية بينما تحارب الإبادة الجماعية وإضافة إسرائيل تقاتل الإبادة الجماعية إرهابيين ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية. عدت إسرائيل الدعوى القضائية المرفوعة «تشهيراً دموياً» ضد إسرائيل وهو مصطلح يستخدم للدعوات الكاذبة المعادية للسامية ضد الشعب اليهودي ويعود أصوله إلى العصور الوسطى⁽¹⁷⁾.

دافعت إسرائيل عما تهتمها به جنوب أفريقيا عبر كبير المحامين المدافعين عن إسرائيل في المحكمة (تال بيكر) واستند الدفاع إلى الحجج الآتية⁽¹⁸⁾:

- ✓ الإشارة إلى أن المحرقة التي ارتكبت ضد اليهود (الهولوكوست) هي التي دفعت المجتمع الدولي إلى إنشاء اتفاقية الإبادة الجماعية وهجمات حماس في 7 أكتوبر 2023 م هي أسوأ أعمال عنف ارتكبت ضد الشعب اليهودي منذ المحرقة؛
- ✓ نفي تهمة الإبادة عن إسرائيل والتأكيد على أن حربها دفاعية وما تسعى إليه إسرائيل من خلال عملياتها في غزة ليس تدمير الشعب الفلسطيني بل حماية شعبها؛
- ✓ الحرب في غزة موجهة ضد حماس التي تسبب في لإضرار بالمدنيين الإسرائيليين والفلسطينيين؛
- ✓ ما تطالب به جنوب أفريقيا من وقف العملية العسكرية في غزة هو تشهير بسمعة إسرائيل وسعي منها (جنوب أفريقيا) إلى تقويض حق إسرائيل الأصيل في الدفاع عن نفسها.
- ✓ التأكيد على أن القوات المسلحة الإسرائيلية تصرفت بشكل أخلاقي ومتناسب في أعقاب الأحداث المروعة التي وقعت في 7 تشرين الأول 2023 م.

✓ نفي الاتهام الموجه لإسرائيل بحصار غزة عبر وقفها لدخول المساعدات الإنسانية من معبر رفح الحدودي.

كما رفضت بعض الدول الأوروبية الدعوى التي أقامتها جنوب أفريقيا ضد إسرائيل واعدتها مزاعم لا دليل عليها وكانت ألمانيا وهي واحدة من أقرب حلفاء إسرائيل الأوروبيين ومن أقوى الداعمين اذ وصفت الادعاء بأن إسرائيل ترتكب إبادة جماعية بأنه « كاذب » وقالت إن اتفاقية الإبادة الجماعية لا تغطيها وأعلنت أنها ستتدخل كطرف ثالث أمام المحكمة. كما أعربت المجر عن معارضتها لهذه القضية وقالت الولايات المتحدة إن المزاعم ضد إسرائيل لا أساس لها من الصحة وادعت أن الطلب المقدم إلى محكمة العدل الدولية يؤدي إلى نتائج عكسية وليس له أي أساس في الواقع كما قال وزير الخارجية البريطاني (ديفيد كامرون) إنه لا يعتقد أن القضية في محكمة العدل الدولية كانت مفيدة وأن لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها⁽¹⁹⁾.

7. الخاتمة

أثبت مسار الاحداث الخاص بالقضية الفلسطينية عبر مسار تطورها التاريخي ومنذ العام 1948 وحتى الوقت الراهن، انه مهما حاولت وعملت وسعت اسرائيل جاهدة في انهاء هذه القضية وتصفيها موظف بذلك كل امكانياتها ودعم الدول الغربية لها وما تدعيه من حقها في الوجود وشرعيتها في البقاء وحقها في الدفاع عن نفسها ازاء اي خطر تواجه واصفة لإعمال المقاومة بانها اعمال ارهابية تستهدف انهاء وجودها ومقدمة نفسها الى العالم بانها الدولة المتحضرة والضحية عبر تاريخ قضيتها وان ما تقوم به ما هو الا دفاعاً عن نفسها وحقها في الوجود، وهي في الاساس مستمرة بنهجها التوسعي وسياستها الاقصائية وعنف سلوكها تجاه ابناء الشعب الفلسطيني، غير انها لم تنجح في تحقيق هدفها الاساس وهو تصفية القضية الفلسطينية الامر الذي جعلها تعيش في دوامة الحروب المستمرة ساعية الى تصفية اقطاب المقاومة الفلسطينية بل وانهاء للقضية بمجملها. لقد توصلنا في هذه الدراسة الموجزة الى ابرز الاستنتاجات وهي:

✓ استمرار سياسة الاقصاء والتمهيش وفرض الامر الواقع من قبل دولة الاحتلال على سكان فلسطين لم تثمر عن شيء الا استمرار المقاومة ودوامة الحروب التي تواجهها إسرائيل؛

- ✓ جسدت عملية طوفان الاقصى الامكانية العالية في التخطيط والتنفيذ لقوات المقاومة الفلسطينية وبشكل فاجأ قوات الاحتلال وشكل تحدي امني خطير لها؛
- ✓ سعت اسرائيل ومن يدعمها من الدول الغربية الى توظيف قدراتها العسكرية والمالية لشن حرب الابادة الجماعية على سكان قطاع غزة ومتذرع بالأسانيد القانونية وحق الدفاع عن النفس الى اضافة صفة الارهاب على قوى المقاومة الفلسطينية من اجل اضافة الشرعية على اعمالها الاجرامية.

8.. قائمة الهوامش

- (1) محمد عصام لعروسي، الحرب ضد غزة ومآلات النظام الدولي، من الهيمنة القطبية الى اللجوء غير المشروع للقوة، المستقبل العربي، المجلد 47، العدد 543، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2024، <https://caus.org.lb> تاريخ الزيارة 2024/11/10
- (2) شيماء منير، الحرب في غزة وانعكاساتها الاستراتيجية على القضية الفلسطينية، ملفات طوفان الاقصى والحرب على غزة، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2023، ص 13
- (3) محمد عصام لعروسي، الحرب ضد غزة ومآلات النظام الدولي، من الهيمنة القطبية إلى اللجوء غير المشروع للقوة، المستقبل العربي، المجلد 47، العدد 543، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2024. <https://caus.org.lb> مصدر سبق ذكره
- (4) الحرب الاسرائيلية على قطاع غزة قراءة في موقف القانون الدولي الانساني تقييم حالة، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2023، ص 1
- (5) المصدر نفسه، ص 1، كذلك: الحرب الاسرائيلية على مدينة غزة اهدافها ونتائجها المتوقعة، تقدير موقف، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2023، ص 1
- (6) عبير ياسين، السرديات الاسرائيلية حول حرب غزة الخامسة محاولة للتفكيك، ملفات طوفان الاقصى والحرب على غزة، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2023، ص 23. كذلك: حمزة الطويل، حرب غزة بين القوة الناعمة والدبلوماسية العامة والفرص الكبرى، مجلة سياسات، العدد 58، معهد السياسات العامة، رام الله فلسطين، 2024، ص 66
- (7) المصدر نفسه، ص 24
- (8) المصدر نفسه، ص 26

(9) محمد حربي، الانتهاكات الإسرائيلية لقطاع غزة من منظور القانون الدولي الإنساني، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، <https://ecss.com.eg> تاريخ الزيارة 2024/11/10 كذلك: علي فضل الله: تفكيك السرديات السياسية والقانونية للصراع والتي أراد منها العدو وداعموه تبرير انتهاك القانون الدولي الإنساني وقوانين الحرب وحقوق الإنسان والقيم العالمية، محاور وحوار، العدد 28، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، دمشق، ص 25

(10) <https://www.alarabiya.net> تاريخ الزيارة 2024/11/11 كذلك ينظر: فادي شديد، الآثار القانونية المترتبة على اعتبار قطاع غزة كيان معادي في نظر القانون الدولي الإنساني، جامعة النجاح، http://blogs.najah.edu/staff/fadi-shadid/article/article-1?at_from=abdulla تاريخ الزيارة 2024/11/11

(11) محمد حسب الرسول، تحليل خلفيات الحرب وأهدافها ربطاً بمسار التطبيع والمشاريع الهادفة الى دمج كيان العدو في المنطقة اقتصادياً وسياسياً. معركة طوفان الاقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة، محاور وحوار، العدد 28، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، دمشق، ص 19

(12) معتر الخطيب، الحرب على غزة وحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، <https://www.aljazeera.net> تاريخ الزيارة 2024/11/11

(13) أمل مختار، نوران مدحت، حصار غزة والتداعيات الانسانية : جريمة حرب متكاملة الأركان، ملفات طوفان الاقصى والحرب على غزة، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2023، ص 51 كذلك: محمد عودة، اعادة انتاج النكبة في غزة، مجلة سياسات، العدد 58، معهد السياسات العامة، رام الله فلسطين، 2024، ص 14-15

(14) عائشة البصري، أحكام محكمة العدل الدولية في دعوى جنوب أفريقيا ضد اسرائيل وتداعياتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2024، ص 1

(15) المصدر نفسه، ص 2 كذلك: منتصر دار ناصر، قراءة في قضية جنوب افريقيا ضد اسرائيل امام محكمة العدل الدولية بشأن الابداء الجماعية في غزة، ديوان الجريدة الرسمية، فلسطين، <https://ogb.gov.ps>

(16) المصدر نفسه، ص 4

(17) يوسف كامل خطاب، دعوى الإبادة الجماعية ضد إسرائيل أهميتها .. وحيثياتها .. ودوافع إقامتها وسيناريوهات المتوقعة .. وجدواها، مركز الخليج للأبحاث، المملكة العربية السعودية، 2023، ص 7-8

(18) المصدر نفسه، ص 7-8

(19) المصدر نفسه، ص 7

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية
الأقلية الدرزية السورية

The Significance of Southern Syria in Israel's Regional Strategy: Examining the Doctrine of Protecting the Druze Minority

د. أميرة صديق

باحثة متخصصة في الجيوبوليتيكس، محاضر في جامعة الإسكندرية، مصر

10.11.2024 10:11:24

ملخص الدراسة

عقب سقوط نظام الأسد مباشرةً توسعت إسرائيل في الأراضي السورية، وأعلنت في الأول من مارس الماضي مبدأ "حماية الأقلية الدرزية السورية"؛ والتي تركز في الجنوب بالأساس، كما وجهت تحذيرًا إلى النظام الانتقالي بعدم المساس بأمن الدروز، أو السماح بوجود قوات في الجنوب السوري من شأنها تهديد أمنهم. تثير التوسعات الإسرائيلية وإعلان مبدأ حماية الدروز سؤالًا حول الأهمية الجيوبوليتيكية لجنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية والدوافع الحقيقية لإعلان هذا المبدأ الذي يبدو إنسانيًا. للإجابة عن هذا السؤال، يستخدم البحث التحليل الجيوبوليتيكي الذي يختص بتحليل تأثير العامل الجغرافي على السياسة الخارجية، وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث؛ يختص الأول بتحليل الاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية مع تحليل وضع سوريا فيها، ويختص الثاني بالتعريف بالدروز وعددهم وأماكن تركيزهم وعقيدتهم

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الدينية، ويختص الثالث بتحليل المكاسب الجيوبوليتيكية التي يمكن أن تحققها إسرائيل من مد النفوذ إلى جنوب سوريا وإعلان الحماية على الدروز، وأخيرًا توجز الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: جنوب سوريا، إسرائيل، الدروز، الموحدون، مبدأ حماية الأقليات.

Abstract

After the collapse of the Assad regime, Israel expanded into Syrian territory and announced the doctrine of "protecting the Syrian Druze minority." Israel also warned the interim Syrian government against threatening the Druze or placing military power near their areas, which may pose similar threats. Israel's actions raise questions about the geopolitical significance of Southern Syria, where the Druze primarily reside, and the true motives behind this humanitarian-based doctrine. This research utilizes geopolitical analysis and is divided into three sections: the first section examines the significance of Syria in relation to Israel's strategy in the Middle East. The second one provides information on the Druze population, their distribution, and religious beliefs. The third one explores the geopolitical advantages Israel may gain by declaring protection over the Syrian Druze and expanding into their areas. Finally, the conclusion summarizes the main research findings.

Keywords: Southern Syria, Israel, the Druze, Minority Protection Doctrine.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

1. مقدمة

رغم عدم مشاركة نظام الأسد فعليًا في تقديم جبهة إسناد إلى المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل التي شنت حربًا على قطاع غزة عقب عملية السابع من أكتوبر عام 2023، فإن الحرب في الشرق الأوسط التي انخرط فيها حزب الله اللبناني، وحركة الحوثيين اليمنية، إضافة إلى المناوشات الإيرانية - الإسرائيلية، قد ألقت بظلالها على سوريا؛ حيث استغلت المعارضة السورية المسلحة الضعف النسبي الذي أصاب نظام الأسد، وذلك بعدما سحبت إيران وحزب الله جزءًا من قواتهما من سوريا بهدف إعادة توجيهها لإسناد ودعم الجبهة الفلسطينية، وشنت عملية "ردع العدوان" ضد نظام الأسد منذ 27 نوفمبر 2024، ما أدى إلى سقوطه سريعًا في 8 ديسمبر عام 2024 وخلال أقل من أسبوعين، وذلك بعد سنوات الأزمة السورية التي فشلت خلالها المعارضة المسلحة في إسقاط النظام منذ مارس عام 2011 وحتى ديسمبر 2024.

وعقب سقوط نظام الأسد، سارعت إسرائيل بالتوسع عسكريًا في الأراضي السورية، لا سيما في المناطق المتاخمة لها، كما وجهت ضربات إلى وحدات ومراكز الجيش السوري المختلفة، وأعلنت في الأول من مارس الماضي الحماية على الطائفة الدرزية، محذرة الحكومة الانتقالية من تهديد الدروز أو حتى تدعيم وجودها في مناطق تركزمهم. وبينما أعلن قادة الطائفة الدرزية، في محافظة السويداء تحديدًا، رفضهم الحماية الإسرائيلية مؤكدين أنهم جزء لا يتجزأ من النسيج السوري،⁽¹⁾ زار وفد من زعماء دينيين من دروز جبل الشيخ إسرائيل استجابةً لدعوة الأخيرة ويهدف زيارة مقدسات دينية منها ضريح النبي شعيب الذي يعد من أكثر الأماكن المقدسة لدى

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الدروز.⁽²⁾ تطورت الأوضاع مع اندلاع مناوشات طائفية بين مسلحين تابعين للحكومة السورية السنية المؤقتة ودروز جنوب دمشق، ما دفع إسرائيل في الأيام الأولى من شهر مايو لتجديد عروضها وإعلان الاستعداد لحماية الطائفة الدرزية، في المقابل طالب زعماء دينيون وسياسيون دروز في الجنوب بتدخل دولي عاجل لحماية دروز سوريا.⁽³⁾

تثير هذه التحركات والتطورات تساؤلات حول الأهمية الجيوبوليتيكية لجنوب سوريا في السياسة الإسرائيلية والدوافع الحقيقية خلف إعلان "مبدأ حماية الأقلية الدرزية". ويفترض البحث أن هذا المبدأ الذي يبدو إنسانياً مجرد غطاء قيمي تقدمه إسرائيل لتبرير مصالح وأهداف ترغب في تحقيقها في المناطق الدرزية في جنوب سوريا. يستخدم البحث التحليل الجيوبوليتيكي الذي يختص بتحليل تأثير العامل الجغرافي على السياسة الخارجية، وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث؛ يختص الأول بتحليل الاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية، وعلاقتها بالاستراتيجية الأمريكية الكبرى، مع تحديد وضع سوريا في هذه الاستراتيجية، مع تسليط الضوء على أهم المبادئ الجيوبوليتيكية التي تركز عليها الاستراتيجية الإسرائيلية. ويختص المبحث الثاني بالتعريف بالدروز كطائفة دينية، وعددهم، ومناطق تركيزهم في الشرق الأوسط، وأسس عقيدتهم. ويختص المبحث الثالث بتحليل الأهمية الجيوبوليتيكية لجنوب سوريا والطائفة الدرزية، وذلك من خلال تحليل أهم المكاسب التي يمكن أن تحققها إسرائيل من مد النفوذ إلى الجنوب السوري وإعلان الحماية على الدروز. وأخيراً، توجز الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

2. الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية وقواعدها ومبادئها الجيوبوليتيكية

يهدف هذا المبحث إلى تحليل الاستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط ووضع سوريا فيها. يبدأ المبحث بالتعريف بمفهوم "الاستراتيجية الكبرى"، ثم ينتقل إلى التعريف بالاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية وعلاقتها بمثلها الأمريكية، ثم يحلل موقع سوريا في هذه الاستراتيجية، وأهم المناطق التي توسعت فيها إسرائيل عقب سقوط نظام الأسد، وأخيرًا يعرض أهم المبادئ التي تركز عليها هذه الاستراتيجية.

1.2. مفهوم الاستراتيجية الكبرى

مفهوم "الاستراتيجية" من أكثر المفاهيم التي تُستخدم بالتبادل مع مفهوم "السياسة" للتعبير عن المعنى ذاته. ومفهوم الاستراتيجية له أكثر من معنى؛ فهو أولاً يعني فن الحرب أو فن إدارة العلاقات الدولية وقت الحرب، أو فن إدارة العمليات العسكرية بهدف تحقيق الأهداف السياسية القومية. وثانيًا، يُستخدم المفهوم أيضًا للتعبير عن الرغبة في تجنب الحرب المباشرة أو تجنب استخدام القوة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية مثلما كان حال الاستراتيجيتين الأمريكية والسوفيتية خلال الحرب الباردة. وأخيرًا، هناك مفهوم "الاستراتيجية الكبرى"، وهو المفهوم الذي يتنبأه البحث، والذي يعني أقصى الآمال والطموحات السياسية التي تتطلع إليها الوحدة السياسية (أو الدولة)، أي امتلاك رؤية كبرى، مع تعبئة كافة الإمكانيات والمقدرات الوطنية المتاحة لتحقيق هذه الآمال والطموحات العليا.⁽⁴⁾ قد تكون "الاستراتيجية الكبرى" عالمية أو إقليمية حسب مستوى قوة الفاعل الذي يتبناها.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

انطلاقاً مما سبق، يُقصد بالاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية، الرؤية الإسرائيلية الكبرى لمنطقة الشرق الأوسط، وأقصى الآمال والطموحات التي تتطلع إسرائيل لتحقيقها في المنطقة من خلال تعبئة كافة إمكانياتها ومقدراتها. والجدير بالذكر، إن الاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية جزء من الاستراتيجية الأمريكية الكبرى الهادفة للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط.⁽⁵⁾

2.2. الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية ومشروع الشرق الأوسط الجديد

بمجرد النجاح في إضعاف قدرات حركات المقاومة العربية (كحزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية) وتصفية أبرز قادتها من الصفين الأول والثاني، خلال الحرب الجارية حالياً على قطاع غزة، سارع رئيس الوزراء الإسرائيلي بإعلان نية استغلال الحرب من أجل تغيير الأوضاع في المنطقة، ووضع أسس "شرق أوسط جديد".⁽⁶⁾ لم تكن هذه المرة الأولى التي يُذكر فيها مصطلح "الشرق الأوسط الجديد"، بل سبق أن ظهر المصطلح في بداية تسعينيات القرن العشرين، عقب نهاية الحرب الباردة، في كتاب صادر باللغة الإنجليزية عام 1993 يحمل الاسم نفسه من تأليف وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك شيمون بيريز. ويقدم الكتاب تصوّراً لشرق أوسط جديد يضمن الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة ولكن من خلال الأداة الاقتصادية لا الحروب التي ثبت عدم فعاليتها.⁽⁷⁾ وقد عكّس هذا التصور الاقتصادي السلمي محاولات إسرائيل استغلال المتغيرات الدولية والإقليمية آنذاك، والمتمثلة في ترسيخ حالة الأحادية القطبية بقيادة حليفها الأمريكي الدولي خلال تسعينيات القرن الماضي،

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

وفقدان دول المواجهة العربية حليفها السوفيتي الدولي، من أجل تشكيل "شرق أوسط جديد" تكون فيه إسرائيل قوة إقليمية مهيمنة اقتصاديًا وبشكل منفرد.

يلاحظ أن الأدوات المستخدمة في تشكيل الشرق الأوسط الجديد الذي يتطلع إليه التيار اليميني المتشدد الحاكم حاليًا -جناحيه القومي والديني- بقيادة نتانياهو تختلف عنها في تصور شيمون بيريز؛ حيث يفضّل اليمينيون المتشددون الهيمنة بأدوات القوة الصلبة لا القوة الاقتصادية الناعمة.⁽⁸⁾ وبغض النظر عن الأدوات المستخدمة، تتطلع إسرائيل في النهاية للهيمنة العسكرية والاقتصادية المنفردة على الشرق الأوسط. ولا شك أن نجاح إسرائيل في تحقيق هذا الهدف يتطلب منع أي قوة إقليمية أخرى، عربية أو غير عربية، من الهيمنة الإقليمية، بل وتفرغ المنطقة من كل قوة إقليمية قد تعيق تحقيق الهدف الإسرائيلي. إضافة إلى ذلك، ظهرت خلال ثمانينيات القرن العشرين خطط هادفة لتفكيك الدول العربية تحديدًا على أسس عرقية وطائفية، لا سيما المعوّق منها لتحقيق الأهداف الإسرائيلية الإقليمية، وهي الخطط التي عُرِفَتْ "بسايكس بيكو الجديد".⁽⁹⁾

لا شك أن المتغيرات العالمية والإقليمية التي ظهرت مع بداية القرن الحالي، مثل تراجع حالة الأحادية القطبية العالمية مع صعود روسيا والصين واستهدافهما لعالم متعدد الأقطاب، بالإضافة إلى ظهور قوى إقليمية تسعى إلى بسط هيمنتها على الشرق الأوسط أيضًا مثل إيران وتركيا، قد قلّصت فرص تحقق الأهداف الإسرائيلية الإقليمية وجعلت لها منافسين إقليميين،⁽¹⁰⁾ وذلك قبل أن تقدّم متغيرات إقليمية، مثل أحداث السابع من أكتوبر 2023 والحرب الإسرائيلية على غزة، وأخرى عالمية، مثل

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الانشغال الروسي في الحرب على أوكرانيا منذ عام 2022، فرصة جيوبوليتيكية لإسرائيل لتحقيق أهدافها الإقليمية القديمة.

3.2. القواعد الجيوبوليتيكية الإسرائيلية ووضع سوريا فيها

بصورة عامة، إن تحديد أبعاد الاستراتيجية الكبرى، عالمية كانت أم إقليمية، إنما يتطلب بدوره من الوحدة السياسية (أو الدولة) تحديد قواعدها الجيوبوليتيكية. و"القواعد الجيوبوليتيكية" هي مبادئ إجرائية تتألف من فروض جيوبوليتيكية تنطلق منها الدولة في سياستها الخارجية وتشمل تحديد ثلاثة بنود وهي: مَنْ الأصدقاء وكيف يمكن توثيق التعاون معهم، وَمَنْ الأعداء وكيف يمكن مواجهتهم، وتحديد المبرر الذي سيتم تسويقه بهدف تبرير وتقنيع السياسات المختلفة.⁽¹¹⁾

وفي ضوء القواعد الجيوبوليتيكية الإسرائيلية، تعد القوى الأعضاء في "محور المقاومة"، أو "محور الشر" كما تلقبه إسرائيل، والذي يضم إيران وسوريا في عهد الأسد وحزب الله اللبناني وحركات المقاومة الفلسطينية وتنظيمات عراقية وحركة الحوثيين في اليمن، مِنْ أهم الأعداء الذين يعيقون تحقيق أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية، وبناءً عليه يجب مواجهتهم وتحديد تأثيرهم.

وفيما يتعلق بسوريا تحديداً -باعتبارها مركز اهتمام البحث- فهي كانت أحد أهم الفاعلين الجيوسراتيجيين في منطقة الشرق الأوسط قبل اندلاع الأزمة السورية عام 2011.⁽¹²⁾ و"الفاعل الجيوسراتيجي" هو وحدة سياسية قادرة وراغبة في التأثير على التفاعلات الجيوبوليتيكية خارج حدودها، أي التفاعلات المتعلقة بسياسات التنافس

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

حول الهيمنة عالمية كانت أو إقليمية.^(*) كذلك كانت سوريا عضوًا مهمًا في "محور المقاومة" الذي تشكّل في منطقة الشرق الأوسط من إيران -التي تتزعم المحور ولديها طموحات إقليمية وتنافس إسرائيل للحصول على نصيب في الاستراتيجية الأمريكية الشرق أوسطية- والأطراف العربية الأخرى التي ما زال لديها أراضي تحت الاحتلال الإسرائيلي مثل المقاومة الفلسطينية وحزب الله اللبناني، وذلك بهدف التصدي لأهداف الاستراتيجيةتين الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، ومنعهما من الانفراد بالهيمنة عليها.⁽¹³⁾

ولمّا كانت سوريا أحد أهم أعضاء "محور المقاومة"، نظرت إسرائيل إليها دومًا كمصدر تهديد، بل أوصت الاستراتيجيات الإسرائيلية الإقليمية، منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، بضرورة التخلص من نظام البعث السوري الحاكم بسبب توجهاته السياسية وتحالفاته مع القوى الفاعلة الأخرى المناوئة لإسرائيل، وذلك إذا ما كانت الأخيرة ترغب في تحسين بيئتها الأمنية والجيوبوليتيكية الإقليمية.⁽¹⁴⁾

وعقب اندلاع الأزمة السورية عام 2011، تحولت سوريا بالفعل من فاعل جيوسراتيجي إلى ساحة للتنافس العالمي والإقليمي، لا سيّما بعد أن تزايد النفوذ الخارجي في سوريا؛ ما أدى إلى تقسيم سوريا فعليًا إلى مجالات نفوذ. ورغم هذا الضعف النسبي، ترى الباحثة أن سوريا ظلت محتفظة بمكانتها في القواعد الجيوبوليتيكية الإسرائيلية كأحد الأعداء الذين يجب تحييد تهديدهم، كما استمرت أهداف إسرائيل في التخلص من نظام الأسد والقضاء على ما تبقى لسوريا من دور كفاعل جيوسراتيجي

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

إقليمي بالإضافة إلى تصفية محور المقاومة وتصفية إيران -زعيمة المحور- كقوة إقليمية وكعقبة في طريق الهيمنة الإسرائيلية المنفردة على الشرق الأوسط.

ورغم أن تركيا لا تُصنّف كعدو صريح في القواعد الجيوبوليتيكية الإسرائيلية، فإنها قوة إقليمية شرق أوسطية يجب وضعها في الحسبان؛ فتركيا فاعل جيوسراتيجي إقليمي مؤثر، ولديها طموحاتها الإقليمية، ورغم أنها لا تنتمي إلى أي من المحورين الإيراني والإسرائيلي بصورة جامدة، بل تتماهى بينهما حسب مصالحهما، وكذلك رغم ميلها بشكل عام إلى الكتلة الغربية بحكم عضويتها في حلف الناتو، ففي النهاية يهدف المشروع الإسرائيلي إلى تقليص النفوذ التركي في المنطقة، ما يضمن انفراد إسرائيل بالسيطرة على منطقة الشرق الأوسط.⁽¹⁵⁾

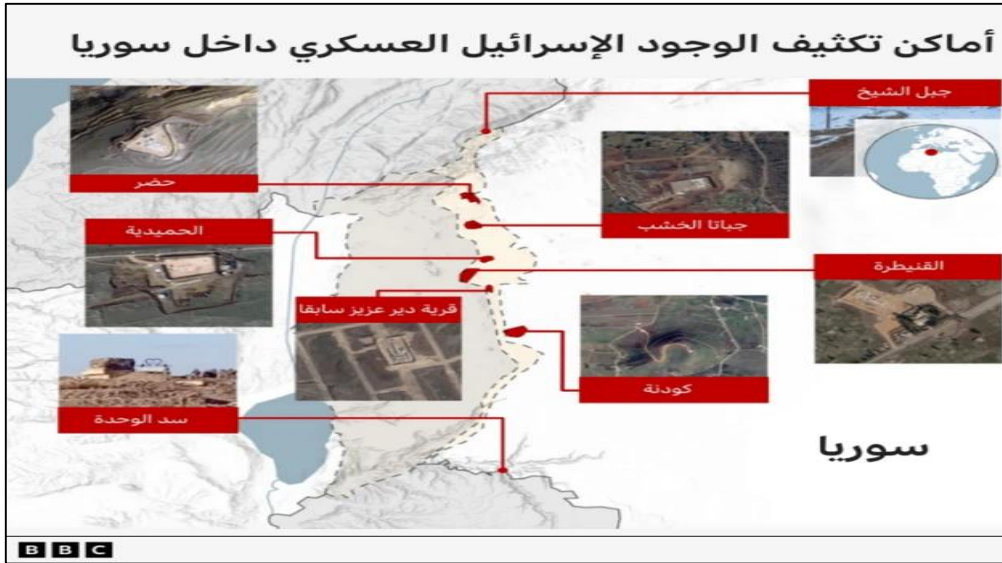
4.2. التوسعات الإسرائيلية في الأراضي السورية عقب سقوط نظام الأسد

إضافة إلى الضعف الذي أصاب الدور السوري كفاعل جيوسراتيجي إقليمي بفعل الأزمة السورية، جاءت الفرصة سانحة لإسرائيل للقضاء على ما تبقى من دور سوري في المنطقة عقب سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024؛ حيث سارعت إسرائيل بالتوسع في الأراضي السورية، فسيطرت على جبل الشيخ (أو جبل حرمون) المتاخم للجولان السوري المحتل منذ عام 1967، كما توسعت عسكرياً في المنطقة العازلة التي تفصلها عن سوريا، تلك المنطقة المتاخمة لهضبة الجولان والتي نشأت بموجب اتفاق السلام الموقع عام 1974، كما وجهت ضربات عسكرية إلى وحدات ومراكز الجيش السوري المختلفة، وأخيراً أعلنت الحماية على الطائفة الدرزية في جنوب سوريا محذرة الحكومة السورية الانتقالية من تهديد الطائفة الدرزية أو السماح بوجود قوة عسكرية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

في الجنوب السوري، كما أعلنت عزمها إنشاء منطقة عازلة منزوعة السلاح في جنوب سوريا لا سيّما في محافظات السويداء ودرعا والقنيطرة المتاخمة للجزولان المحتل، وعدم السماح بتواجد الجيش السوري في الجنوب في هذه المحافظات الثلاث.⁽¹⁶⁾

خريطة (1) المناطق السورية التي سيطرت عليها إسرائيل عقب سقوط نظام الأسد
في ديسمبر 2024



المصدر: شيرين شريف، ما هي المناطق التي أعلنت إسرائيل استمرار السيطرة عليها في جنوب سوريا؟، بي بي سي نيوز عربي، 17 فبراير 2025، www.bbc.com

5.2. المبادئ الجيوبوليتيكية الإسرائيلية: مبدأ شد الأطراف ومبدأ حماية

الأقلية الدرزية

ترتكز الاستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط حاليًا على مبدئين جيوبوليتيكيّين متكاملين هما: "مبدأ شد الأطراف" و"مبدأ حماية الأقلية الدرزية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

السورية". والمبدأ الجيوبوليتيكي هو فرض استراتيجي تضعه حكومة ما -أي يرتبط بزعم سياسي ما - فيما يتعلق بالدول الأخرى في صياغة سياستها الخارجية، وهي تصورات مستقبلية تتضمن تقييماً لأهمية المواقع الجغرافية الواقعة وراء الحدود من حيث أهميتها الاستراتيجية، والمبدأ الجيوبوليتيكي هو صلب القواعد الجيوبوليتيكية.⁽¹⁷⁾

1.5.2. مبدأ بن جوريون: شد الأطراف

يُعد تشجيع التقارب والتحالف مع الأقليات العرقية والدينية في منطقة الشرق الأوسط في مواجهة الأغلبية العربية السنية من أهم المبادئ الراسخة في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية، وقد عُرِفَت هذه السياسة بمبدأ "شد الأطراف". ويعود تاريخ هذا المبدأ إلى ديفيد بن جوريون -عندما كان وزيراً للدفاع- في منتصف خمسينيات القرن العشرين، ولهذا عُرِف "بمبدأ بن جوريون"، وكان هدفه مواجهة التهديد العربي السني الرافض آنذاك لنشأة إسرائيل، باعتبار الأخيرة كياناً سياسياً صغيراً واقعاً في قلب محيط عربي كبير ومعادٍ.⁽¹⁸⁾

2.5.2. مبدأ نتانياهو: حماية الأقلية الدرزية السورية

مبدأ حماية الأقلية الدرزية أحدث مبدأ أعلنه إسرائيل لتحقيق أهداف استراتيجيتها الإقليمية. والجدير بالذكر، إن مبادئ حماية الأقليات الدينية أو العرقية ليست جديدة في السياسة العالمية، فالتاريخ السياسي العالمي حافل بهذه المبادئ الجيوبوليتيكية التي تبدو في ظاهرها إنسانية هادفة لحماية أقلية دينية أو طائفة من

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الاضطهاد، بينما تحمل في داخلها مصالح أخرى. وتُطلق الحكومات مثل هذه المبادئ الجيوبوليتيكية من أجل تقنيع وتبرير الأهداف والسياسات الحقيقية التي تتورع عن الإعلان عنها صراحةً.^(*) ويُعد ما يُمكن أن نطلق عليه "مبدأ نتانياهو"^(*)، أو مبدأ "حماية الأقلية الدرزية في جنوب سوريا" من خطر اضطهاد الحكومة الانتقالية السورية السنية التوجه بقيادة الرئيس السوري المؤقت أحمد الشرع، والذي أُعلن عنه في الأول من مارس الماضي، أحدث نموذج لمبادئ حماية الأقليات، وأحدث مبدأ جيوبوليتيكي تبنته إسرائيل.

3. التعريف بالطائفة الدرزية ومناطق تركّزهم في الشرق الأوسط

يهدف هذا المبحث إلى التعريف بالطائفة الدرزية، وذلك انطلاقاً من مبدأ "حماية الأقلية الدرزية السورية" الذي أعلنته إسرائيل منذ شهور، ومن أجل فهم أفضل للسياسة الإسرائيلية تجاه الدروز، وللأهمية التي يشغلونها هم والمناطق التي يسكنونها في السياسة الإسرائيلية، وهي موضوع المبحث الثالث. يبدأ المبحث بوصف التوزيع الجغرافي والعددي للدروز في الشرق الأوسط، ثم ينتقل إلى توضيح أسس العقيدة الدرزية ومكانة النبي شعيب عليه السلام، وأخيراً يوضح المبحث أسباب تركّز الدروز في بلاد الشام تحديداً.

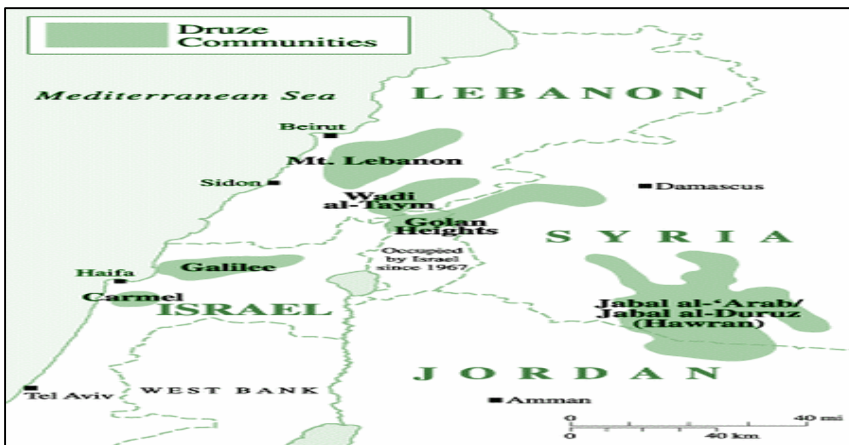
1.3. التوزيع الجغرافي والعددي للطائفة الدرزية

يقدّر عدد أبناء الطائفة الدرزية بنحو 2 مليون نسمة، يتوزع معظمهم حالياً في المناطق الجبلية بين سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.⁽¹⁹⁾ ووفقاً لإحصاءات عام 2023،

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

يعيش القسم الأكبر من الدروز في سوريا، ويُقدَّر عددهم بنحو 700.000 نسمة، أي 4% من السكان، ويتركزون بالأساس في جنوب سوريا في محافظة السويداء عند جبل الدروز (أو جبل العرب أو جبل حوران) التي تعد المحافظة السورية الوحيدة ذات الأغلبية الدرزية، وكذلك على تخوم الجولان السوري في محافظة القنيطرة، وفي محافظة دمشق، إضافة إلى محافظة إدلب في شمال سوريا. ويأتي لبنان في المرتبة الثانية، ويُقدَّر عدد الدروز فيها بنحو 400.000 نسمة، أي 5.2% من السكان، ويتركزون في جبل لبنان. ثم تأتي الأراضي الفلسطينية المحتلة بإسرائيل في المرتبة الثالثة، ويُقدَّر عدد الدروز فيها بنحو 150.000 نسمة، أي 1.6% من السكان، ويتركزون في الجليل وجبال الكرمل. وأخيرًا يأتي الأردن في المرتبة الرابعة، ويُقدَّر عدد الدروز به بنحو 30.000 نسمة، أي 0.26% من السكان، ويتركزون في جبل الدروز على امتداد الحدود السورية - الأردنية.⁽²⁰⁾ انظر خريطة رقم (2).

خريطة (2) مناطق تركيز الدروز في الشرق الأوسط



المصدر: www.juancole.com/2010/12/map-druze-communities.html

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

2.3. الأسس العقائدية للمذهب الدرزي

انسلك المذهب الدرزي -أو مذهب الموحدين كما يفضل الدروز تسميته- من رحم المذهب الشيعي الفاطمي الإسماعيلي الباطني،^(*) أي أنه يستمد أصوله من الدين الإسلامي. وقد ظهر المذهب الدرزي في مصر في عهد الدولة الفاطمية، وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله تحديدًا، وتأسس على فكرة تأليه الحاكم ولا سيّما الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى الخلافة من 386 هـ حتى 411 هـ. ويُشار بأن الفكرة وُلدت بتحريض من الحاكم بأمر الله شخصيًا الذي تأثر بالفاطمية التي تعظّم من شأن الحكام وتعتبرهم أئمة فوق البشر، وقد ساعدت حاشيته الراغبة في التقرب إليه في الترويج للفكرة. وعادة ما يتم ذكر ثلاثة أسماء كأباء مؤسسين للعقيدة الدرزية وهم الحسن الفرغاني (الأخرم)، حمزة بن علي بن أحمد، محمد بن إسماعيل الدرزي (أو نوشتكين الدرزي) الذي نُسبَت إليه العقيدة وحملت اسمه. وقد استغل هؤلاء الأباء المؤسسون حقيقة كون الحاكم بأمر الله أكثر حكام الدولة الفاطمية إثارةً للجدل بهدف الترويج لفكرة ألوهيته؛ فشخصية الحاكم التي تبدو غريبة الأطوار وسلوكياته المثيرة للجدل ما هي إلا انعكاس لألوهيته.⁽²¹⁾

ويفضل الدروز تلقيب أنفسهم بالموحدين بدلًا من أن يتم إنسابهم إلى نوشتكين الدرزي (أو محمد بن إسماعيل الدرزي) الذي يصفونه بالإلحاد، ويُذكر أن كتبهم المقدسة تستخدم مصطلح الموحدين لا الدروز. ويختلف الموحدون عن الدروز في أن عقيدة الموحدين تركت الجانب الظاهري من العقيدة، أي الفرائض والشعائر الدينية التي يتشاركونها مع باقي المسلمين كالصلاة والصوم والحج وغيرها، رغم أنهم أحيانًا

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

يصومون ويحتفلون بالأعياد الدينية مثل المسلمين،^(*) وتمسكت بالجانب الباطني. ووفقًا للعقيدة التوحيدية، هناك ثلاثة أسس وعدد من الخصال التوحيدية التي إذا توافرت في الشخص أصبح موجّدًا.⁽²²⁾

3.3. مكانة النبي شعيب عليه السلام عند الدروز

في إطار الزيارة التاريخية التي قام بها دروز جبل الشيخ السوريون إلى مقام النبي شعيب الواقع قرب بحيرة طبريا في إسرائيل (الجليل الفلسطيني الأصل)، من المهم فهم مكانة النبي شعيب في العقيدة الدرزية.

وللنبي شعيب عليه السلام مكانة بارزة جدًا لدى الطائفة الدرزية، وهي علاقة فكرية عقائدية لا علاقة نسب ودم. ويعود أصل هذه العلاقة إلى فكرة أن الدروز يؤمنون بفكرة "السبعة أزواج"، أي سبعة أنبياء، وأن كل نبي كان معه عارف؛ فمثلاً موسى وشعيب زوج، ومحمد وعلي زوج، وتحدد مهمة العارف في تعريف الناس بالدين. ويعتقد الدروز أن النبي شعيب أصبح حمو النبي موسى بعدما تزوج إحدى ابنتيه اللتين سقا لهما، كما يعتقدون أن النبي شعيب ظلّ مع سيدنا موسى لسنوات وعلمه كيفية إدارة حكم الشعب (بني إسرائيل)، وهذه الأفكار كلها من تأثير الديانة اليهودية التي تأثرت الدرزية بها مثلما تأثرت بالعديد من الفلسفات والديانات.^(*) كذلك يؤمن الدروز بأن مقام أو قبر النبي شعيب موجود في قرية حطين الفلسطينية قرب بحيرة طبريا في الجليل الفلسطيني الأصل، تلك القرية التي دمرتها إسرائيل وضمّتها عام 1948.⁽²³⁾

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

4.3. أسباب انتشار المذهب الدرزي في بلاد الشام

كما سبق وتقدم، وُلِدَت العقيدة الدرزية في عهد الدولة الفاطمية في مصر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، ولكنها انتقلت من مصر لتمرّكز في بلاد الشام. وتشير الدراسات المتخصصة إلى أن العقيدة الدرزية أول ما ظهرت في بلاد الشام ظهرت في وادي التيم في سوريا عام 408 هـ (راجع خريطة رقم 2)، أي قبل اغتيال الحاكم بأمر الله بثلاث سنوات. وكان يسكن الوادي آنذاك، قبل وصول العقيدة الدرزية، مجموعة من القبائل والعشائر العربية التي عاشت ضمن الدولة الإخشيدية، أي أن دروز الشام هم من أصل عربي.

انتقلت العقيدة الدرزية إلى الشام بداية من عام 408 هـ، لأن الدعوة إلى تأليه الحاكم جعلت الحاكم بأمر الله يكسب عدااء الجميع في مصر؛ سنة وفاطميين شيعة ونصارى ويهود، ما أدى إلى مقتله عام 411 هـ، بل واضطهاد حاشيته التي رُوّجت للمذهب الجديد في مصر. نتيجة لذلك، وجد الآباء المؤسسون للمذهب الدرزي في بلاد الشام ومناطقها الجبلية، لا سيّما في وادي التيم وجبل لبنان، ملاذًا آمنًا لهم ولمذاهبهم الجديد. ويُذكر أن الشام آنذاك كان تابعًا للدولة الفاطمية بعدما فتحه المعز لدين الله الفاطمي عام 358 هـ، أي قبل تولي الحاكم بأمر الله الخلافة، وقد سارعت القبائل العربية في وادي التيم وجبل لبنان بقبول الدعوة الفاطمية، وهكذا انتقل النشاط الدعوي الدرزي إلى بلاد الشام.⁽²⁴⁾

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

4. الأهمية الجيوبوليتيكية للدروز وجنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية

انتهى المبحث الأول إلى أن "مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية" أحدث مبدأ جيوبوليتيكي أعلنه إسرائيل لتحقيق أهداف استراتيجيتها الإقليمية عقب سقوط نظام الأسد بشهور، كما انتهى المبحث الثاني إلى أن دروز سوريا يتركزون جغرافياً بالأساس في محافظات جنوب سوريا؛ السويداء والقنيطرة ودمشق. انطلاقاً من هذا، يهدف هذا المبحث إلى تحليل الدوافع الإسرائيلية الحقيقية من إعلان هذا المبدأ، وذلك انطلاقاً من فرض بحثي مفاده أن هذا المبدأ الذي يبدو في ظاهره إنسانياً هادفاً لحماية أقلية أو طائفة دينية إنما يحمل في جوهره أهدافاً أخرى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها تحت مبرر الحماية. ويهدف المبحث إلى الكشف عن هذه الدوافع الحقيقية من خلال تحليل الأهمية الجيوبوليتيكية التي يشغلها الدروز وجنوب سوريا الذي يتركزون فيه في الاستراتيجية الإسرائيلية، بصورة عامة، هناك ستة مكاسب يمكن أن تحققها إسرائيل من إعلان "مبدأ حماية الدروز السوريين" كالتالي:

1.4. استقطاب الدروز كحلفاء سياسيين في "مبدأ شد الأطراف" الإسرائيلي

كما سبق وتقدّم في المبحث الثاني، الدروز عرب من الناحية العرقية، لكن انسلخت عقيدتهم من مذاهب أخرى انسلخت بدورها من الدين الإسلامي، وهم يشكلون أقلية طائفية في كل الدول العربية التي يعيشون فيها. وبصورة عامة، ترى إسرائيل في أبناء الطائفة الدرزية حلفاء سياسيين محتملين وتتطلع إلى التقرب إليهم وتوثيق العلاقات معهم، وذلك في إطار "مبدأ شد الأطراف" الذي يعوّل على التقرب إلى الأقليات العرقية والطائفية في الشرق الأوسط. وبالفعل، نجحت إسرائيل في التقرب إلى

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الدروز الفلسطينيين بعد احتلال وضم أرضهم (الجليل والكرمل) عام 1948، كما حاولت إنجاز هذا مع دروز الجولان السوري عقب احتلاله عام 1967، وتحاول حاليًا إنجاز الأمر ذاته مع دروز سوريا عقب سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024.

1.1.4. الدروز الفلسطينيون في "مبدأ شد الأطراف" الإسرائيلي

عندما أعلنت إسرائيل "مبدأ بن جوريون" أو "مبدأ شد الأطراف" خلال خمسينيات القرن العشرين، نالت الطائفة الدرزية (إضافة إلى جماعات عرقية كالأكرد) اهتمامًا إسرائيليًا كبيرًا. وقد أدى ضم منطقتي الجليل والكرمل، الفلسطينيتين الأصل، اللتين يسكنهما الدروز إلى إسرائيل بعد إعلان تأسيسها عام 1948 إلى زيادة هذا الاهتمام.

وقد انتهت إسرائيل إلى أهمية الطائفة الدرزية الفلسطينية بداية من ثورة البراق الفلسطينية عام 1929 وثورة عام 1936 التي قادها المسلمون ضد اليهود، واللذان لم تشارك فيهما الطائفة الدرزية باعتبارها ثورة إسلامية على اليهود ولا تعنيها، وقد أثار الحياء الدرزي انتباه إسرائيل التي استغلت الأخطاء العربية الإسلامية ونظرة التوجس من الدروز الفلسطينيين والتخوف من تحالفهم مع اليهود، بهدف التقرب إلى الطائفة الدرزية والتحالف معها مستغلًا حوادث اعتداء بعض المسلمين على بعض الدروز.⁽²⁵⁾

وفي إطار شد الأطراف العربية الإسلامية، حرصت إسرائيل على استقطاب الدروز الفلسطينيين تجاهها بعيدًا عن العرب المسلمين، وفي سبيل تحقيق ذلك اتخذت عددًا من الإجراءات منها على سبيل المثال عدم تهجير الدروز؛ بل السعي لإدماجهم ضمن إسرائيل، تعزيز الشعور بالهوية الدرزية المستقلة المتميزة عن الهوية العربية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

السنية والاعتراف بأعيادهم الدينية المستقلة مثل عيد النبي شعيب، استبدال مناهج التعليم العربية بأخرى إسرائيلية لتنشئة أبناء الدروز على التقارب مع اليهود وأن كليهما كان ضحية هيمنة وطغيان المسلمين السنة مع التشكيك في الأصول العربية للدروز، تجنيد الدروز (إجباريًا أو اختياريًا) في الجيش الإسرائيلي. وبالفعل، نجحت إسرائيل في اختراق واستقطاب الدروز الفلسطينيين وإعادة تشكيل هويتهم بسلخها عن معدنها الفلسطيني والعربي لصالح إسرائيل.⁽²⁶⁾

2.1.4. الدروز السوريون في مبدأ شد الأطراف الإسرائيلي

ينقسم الدروز السوريون إلى دروز يعيشون في الجولان المحتل منذ عام 1967، وآخرين يعيشون تحت السيادة السورية ويتركزون - كما سبق وتقدم - في الجنوب بالأساس في محافظة السويداء على الحدود مع الأردن ومحافظة القنيطرة ودمشق على تخوم الجولان، إضافة إلى قلة في محافظة إدلب شمالًا، ولكن ينصب تركيز البحث على دروز الجنوب تحديدًا والأقرب لإسرائيل.

1.2.1.4. دروز الجولان السوري المحتل

عندما احتلت إسرائيل الجولان عام 1967، قامت بتهجير 400.000 سوري منه، كما بدأت في سبعينيات القرن العشرين في بناء مستوطنات غير شرعية فيه. وقد كان الجولان وقت احتلاله يضم ست قرى، وهي مجدل شمس، وبقعاثا، ومسعدة، وعين قنية، وسحيتا، وقرية الغجر، الأربعة الأولى منها درزية والسادسة علوية.⁽²⁷⁾ ووفقًا لبيانات وزارة الهجرة والسكان الإسرائيلية، وصل عدد السكان الدروز في قرى الجولان المحتل الأربعة في نوفمبر عام 2024 إلى نحو 29,000 نسمة.⁽²⁸⁾

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

واللافت للنظر، لم تتعرض إسرائيل لهذه القرى الدرزية الأربع في الجولان، وذلك بعكس السوريين الآخرين الذين قامت بتهجيرهم،⁽²⁹⁾ وقد شرعت إسرائيل، عقب احتلال الجولان، في استخدام دروز الخليل والكرمل (الفلسطينيين الأصل) الذين اندمجوا في الكيان الإسرائيلي، لإقناع دروز الجولان المحتل بانتهاج النهج ذاته والاندماج في المجتمع الإسرائيلي، ولكن دون جدوى.⁽³⁰⁾ وبالمثل، عُرِضَت الجنسية الإسرائيلية على دروز الجولان بعد إعلان ضمه عام 1981، لكن جاءت استجابة الدروز السوريين للدعوة الإسرائيلية ضعيفة جدًا أيضًا.⁽³¹⁾

ظلت العلاقة بين المكونين الدرزيين الإسرائيليين والسوري فاترة، بل كان دروز الجولان السوري أقرب إلى فلسطيني الضفة وغزة منهم إلى دروز الجليل والكرمل الحاصلين على الجنسية الإسرائيلية.⁽³²⁾ في المقابل، ظلت العلاقات بين دروز الجولان المحتل ودروز محافظة السويداء قوية رغم عدم سماح إسرائيل لدروز الجولان بزيارة سوريا.⁽³³⁾ ورغم محاولات إسرائيل استخدام مناهج التعليم الإسرائيلية بدلًا من السورية كأداة لسلخ الأجيال الدرزية الجديدة في الجولان عن الانتماء العربي تمهيدًا لإدماجهم في الكيان الإسرائيلي، تمامًا مثلما فعلت مع الدروز الفلسطينيين، قاوم غالبية دروز الجولان هذه السياسات وحافظوا على هويتهم السورية ومناصرتهم للقضية الفلسطينية،⁽³⁴⁾ خاصةً أن نظام الأسد حرص على الحفاظ على الروابط بين دروز الجولان والمجتمع السوري.⁽³⁵⁾

استمرت هذه الأوضاع حتى اندلاع الأزمة السورية عام 2011، حيث ألقى الانقسام العام حول تأييد ومعارضة نظام الأسد بظلاله على الجولان المحتل، وقد دفعت حالة عدم الاستقرار السياسي السوري إلى اليقين بأن تحرير الجولان أصبح

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

أصعب من أي وقت مضى،⁽³⁶⁾ لا سيّما بعد اعتراف الرئيس الأمريكي ترامب خلال فترة رئاسته الأولى بالسيادة الإسرائيلية على الجولان المحتل.

وقد استغلت إسرائيل الأزمة السورية، فشجعت وسرّعت سياسة "أسرلة الجولان" (أي جعلها إسرائيلية) بهدف السيطرة عليه وضمان ضمه نهائياً، وذلك من خلال أولاً اللجوء مجدداً إلى مناهج التعليم كأداة لإعادة تعريف الهوية الدرزية بعيداً عن العرب مستغلةً عدة عوامل مساعدة منها غياب الدولة السورية، وتصاعد الأصوات الدرزية المؤيدة للاندماج في المنظومة الإسرائيلية،⁽³⁷⁾ وتوقف دروز الجولان عن الدراسة في الجامعات السورية بسبب الأزمة السورية وعدم الاستقرار السياسي.⁽³⁸⁾ وثانياً، أعادت إسرائيل في عام 2018 انتخابات المجالس المحلية لقرى الجولان الدرزية، لكنها قصرت الترشح فيها على الحاصلين على الجنسية الإسرائيلية فقط.⁽³⁹⁾

وبالفعل نجحت إسرائيل في استقطاب قلة من دروز الجولان المحتل الذين قبلوا الجنسية الإسرائيلية وخدموا في الجيش الإسرائيلي،⁽⁴⁰⁾ ووفقاً لبيانات وزارة الهجرة والسكان الإسرائيلية، بعكس الحالة السابقة من العزوف عن الحصول على الجنسية الإسرائيلية، شهد عام 2022 أعلى نسب تقدم للحصول عليها، وأصبح نحو 20% من دروز الجولان المحتل يحملون الجنسية الإسرائيلية، كما تزايد الطلب على الحصول على الجنسية عقب السابع من أكتوبر 2023، نتيجة خوف دروز الجولان من حزب الله الذي يُتهم بأنه المسئول عن الهجوم التي تم على قرية مجدل شمس الدرزية في الجولان المحتل في يوليو عام 2024، ما أدى إلى زيادة السخط على نظام الأسد.⁽⁴¹⁾ ولكن في مواجهة التزايد الطفيف في طلب دروز الجولان المحتل الحصول على الجنسية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الإسرائيلية، ظلت الأغلبية متمسكة بالهوية السورية معتبرين أنفسهم سوريين تحت الاحتلال.⁽⁴²⁾

ويُشار بأن حزب الله ونظام الأسد لم يقفا مكتوفي الأيدي أمام سياسات "أسرلة الجولان المحتل"، بل حرصوا على مواجهتها من خلال توثيق التحالف مع دروز الجولان المعارضين للسياسات الإسرائيلية.⁽⁴³⁾ لكن، قدّم سقوط نظام الأسد في سوريا فرصةً لإسرائيل للتسريع من سياسة الأسرلة، حيث شجعت إسرائيل زعيم دروز إسرائيل الشيخ موفق طريف على توثيق العلاقات مع دروز الجولان المحتل وإدماجهم في المجتمع الإسرائيلي. وقد أشار الشيخ طريف أن الخوف من نظام الأسد كان السبب الرئيس الذي منع دروز الجولان من الاندماج في إسرائيل، وأن بعده المهمة ستكون أسهل.⁽⁴⁴⁾

وقد انعكست هذه المحاولات في الزيارة التاريخية التي قامت بها بعثة من 100 رجل دين درزي من جبل الشيخ السوري إلى إسرائيل (الجليل الفلسطيني الأصل) في منتصف مارس الماضي، وبناءً على دعوة إسرائيلية، لمقابلة الشيخ طريف وزيارة ضريح النبي شعيب رافعين علم الدروز، وتعد هذه الزيارة الأولى من نوعها منذ أكثر من 50 عامًا.⁽⁴⁵⁾ كما تكرر الأمر بزيارة وفد من 680 رجل دين درزي من جبل الشيخ ودمشق والسويداء للمقام في إطار الاحتفال بعيد النبي شعيب بين 25 - 28 أبريل.⁽⁴⁶⁾ إضافة إلى ذلك، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي نوايا السماح للمئات من دروز سوريا بالدخول والعمل في إسرائيل في قطاعي الزراعة والبناء، وذلك قبل أن يتم إلغاء هذا القرار بعد شهر واحد.⁽⁴⁷⁾

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

2.1.4. 2. دروز جنوب سوريا

بحكم وقوعهم تحت السيادة السورية، كان دروز جنوب سوريا الأبعد عن النفوذ الإسرائيلي. لكن، قدمت الأزمة السورية وكذلك سقوط نظام الأسد فرصة كبيرة لإسرائيل للوصول إلى دروز الجنوب التي لم تكن قادرة على التواصل معهم من قبل. وبالفعل، أولت إسرائيل اهتمامًا كبيرًا بهم من منطلق أن الأقليات الطائفية والقومية في سوريا (كالأكراد والمسيحيين والدروز والإسماعيليين) ورقة مهمة ينبغي الاستفادة منها.⁽⁴⁸⁾ وقد أكدت القيادات الإسرائيلية عام 2014 بأن العلاقات مع الدروز لن تكون محدودة بدروز إسرائيل فقط.⁽⁴⁹⁾ وبالفعل، سعت إسرائيل إلى التقرب من دروز سوريا بهدف الاستفادة منهم في جبهتين؛ إحداها ضد نظام الأسد وحلفائه الإقليميين، والأخرى ضد المعارضة المسلحة التي تصفها إسرائيل بالجهادية كالتالي:

❖ الجبهة الأولى: دعم دروز الجنوب ضد نظام الأسد وحلفائه

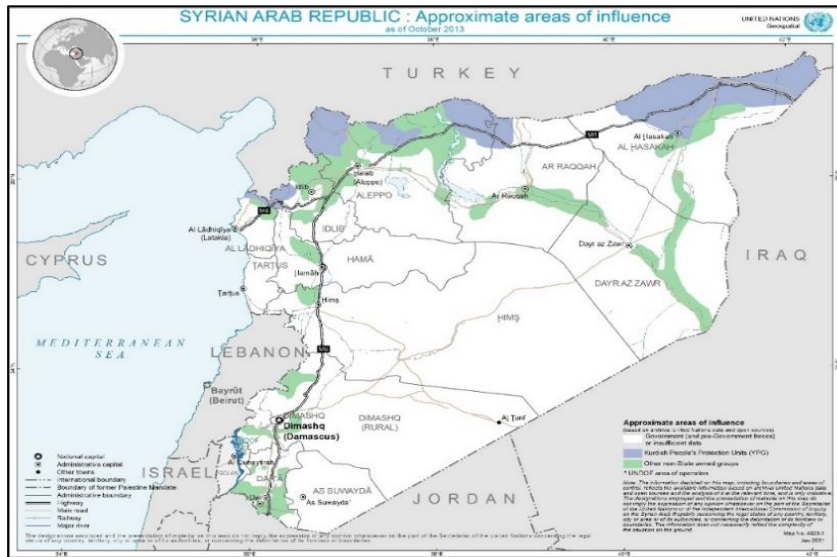
الإقليميين

أقلت الأزمة السورية، والانقسام حول تأييد أو معارضة نظام الأسد، بظلالها على الطائفة الدرزية في جنوب سوريا.⁽⁵⁰⁾ ولكن بصورة عامة، منذ عام 2011 وحتى عام 2014 تقريبًا، حرص نظام الأسد على التحالف مع أبناء الطائفة الدرزية في جنوب سوريا -والتي التزم غالبيتها الحياد بينما انحازت قلة للنظام السوري، وانحازت قلة للمعارضة السورية المعتدلة، وذلك كجزء من سياسة أكبر هادفة إلى توثيق التحالف مع الأقليات الطائفية السورية في مواجهة المعارضة السورية السنية المسلحة التي تمثل طائفة الأغلبية. وبالمثل، حافظ غالبية الدروز على علاقات جيدة مع نظام الأسد، لا

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

سيما خلال السنوات الأولى من الأزمة، باعتباره القوة المسيطرة على جنوب سوريا والضامن الرئيس لأمنهم وسلامتهم.⁽⁵¹⁾ وخلال تلك الفترة تأسست مليشيات درزية موالية لنظام الأسد بهدف صون أمن الدروز في الجنوب أهمها مليشيا "جيش الموحدين" التي تأسست عام 2013.⁽⁵²⁾

خريطة (3) مناطق النفوذ في سوريا في أكتوبر عام 2013 (خريطة سيطرة نظام الأسد على محافظة السويداء ومعظم القنيطرة ودمشق)



المصدر: الأمم المتحدة - <https://www.un.org/geospatial/content/syrian-arab-republic-approximate-areas-influence-october-2013>

وعلى الجانب الآخر، استغلت إسرائيل الأزمة السورية للوصول إلى دروز الجنوب، لا سيما في محافظة السويداء التي يعيش غالبية دروز سوريا بها. ورغم أن السويداء لا تقع على الحدود مع إسرائيل، فإن وقوعها ضمن مجال نفوذ نظام الأسد وحلفائه تقريبًا طوال سنوات الأزمة السورية، بل وتحالف نظام الأسد مع الدروز خلال السنوات

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الأولى من الثورة، كان كفيلاً لجذب انتباه إسرائيل لأهمية دروز السويداء في "مبدأ شد الأطراف"، خاصةً مع وجود اتهامات لإيران وحزب الله اللبناني باستغلال تزايد نفوذهما في سوريا وعلى تخوم الجولان المحتل، خلال سنوات الأزمة، في تجنيد الدروز الموالين لهما في جماعات "جهادية" تابعة لهما ولمحور المقاومة ضد إسرائيل.⁽⁵³⁾

لذلك، حرصت إسرائيل على تشجيع دروز الجولان المحتل على توثيق العلاقات مع دروز السويداء مستغلةً العلاقات القوية التي تجمع المجتمعين الدرزيين السوريين. وبالفعل، قدّم دروز الجولان المحتل دعماً عسكرياً وأمنياً لدروز السويداء في عدد من المواقع، كما استثمروا ملايين الدولارات في السويداء.⁽⁵⁴⁾ ويُذكر أن مليشيات درزية قد تشكلت بدعم من دروز الجولان الذين نجحت إسرائيل في استقطابهم، وذلك بالطبع بتشجيع من إسرائيل نفسها.⁽⁵⁵⁾

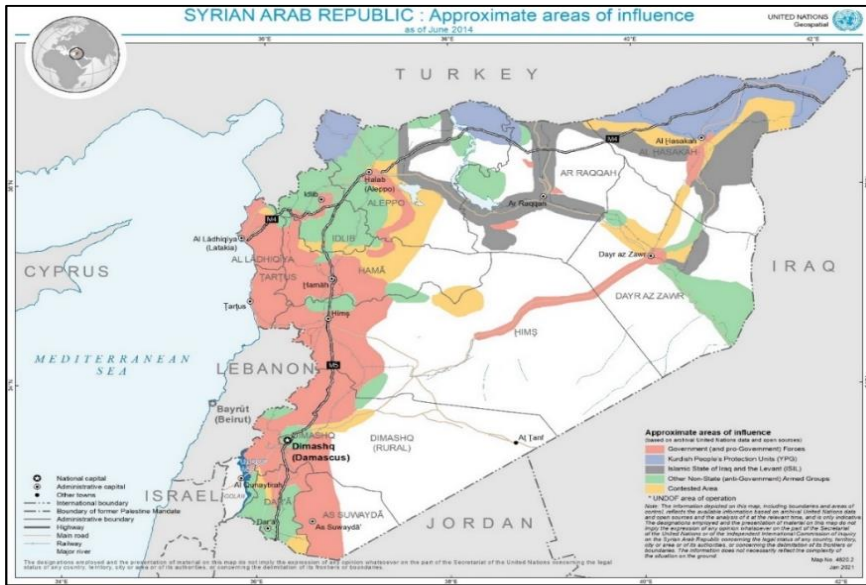
❖ الجبهة الثانية: دعم دروز الجنوب ضد المعارضة السورية المسلحة

تغيرت خريطة النفوذ في جنوب سوريا بداية من عام 2014 تقريباً، حيث تزايد نفوذ المعارضة السورية في الجنوب -خاصةً محافظة درعا السنية والقنيطرة وريف دمشق والمتاخمة جميعها للسويداء- ما هدد السيطرة شبه المنفردة لنظام الأسد على الجنوب السوري والمناطق الدرزية. إضافة إلى ذلك، تزايد استهداف المعارضة المسلحة في درعا لدروز السويداء (والقنيطرة) ما شجع بدوره الدروز على الاعتماد على الذات والانفصال عن النظام السوري الذي لم يعد قادراً على صون أمن طائفتهم.⁽⁵⁶⁾

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

خريطة (4) مناطق النفوذ في سوريا منتصف عام 2014

(خريطة تمدد سيطرة المعارضة السورية في درعا والقنيطرة وريف دمشق)



المصدر: الأمم المتحدة - <https://www.un.org/geospatial/content/syrian-arab-republic-approximate-areas-influence-june-2014>

ومع نجاح المعارضة المسلحة في محافظة درعا خلال عامي 2014، 2015 في مد نفوذها إلى بعض مناطق محافظة القنيطرة والقرى الدرزية السورية على تخوم الجولان المحتل، تطلعت إسرائيل إلى توثيق العلاقات مع دروز سوريا في مواجهة المعارضة السورية المسلحة، وذلك لما وجدته إسرائيل، والولايات المتحدة، من تهديد قد تمثله هذه المعارضة على الدروز؛ فهينة تحرير الشام -الفصيل الأبرز في المعارضة السورية المسلحة- سنية المذهب وقادتها سبق لهم الانتماء إلى جبهة النصرة وتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)،⁽⁵⁷⁾ والهيئة ليست على وفاق مع الدروز بل تعتبرهم زنادقة، ذلك إضافة إلى تزايد حوادث قتل الدروز على يد أفراد ينتمون إلى جبهة

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

النصرة، وكذلك حادث استهداف تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لدروز السويداء عام 2018. وفي ضوء ذلك، بدأ دروز إسرائيل والجولان المحتل في تقديم مساعدات مالية -عن طريق الأردن- إلى دروز سوريا من أجل شراء السلاح وتأمين أنفسهم ضد أي تهديد، لا سيما من المعارضة السورية المسلحة.⁽⁵⁸⁾ وفي عام 2015، تأسست مليشيا "رجال الكرامة" المعارضة لنظام الأسد والمعارضة السنية المسلحة معًا، وترى إسرائيل أن رغم إعلان المليشيا علنًا رفض التعاون مع إسرائيل، إلا أنها لم يستبعد إسرائيل تمامًا من الحسابات السياسية.⁽⁵⁹⁾

ومع زوال خطر الجبهة الأولى بسقوط نظام الأسد وانسحاب قوات إيران حزب الله من سوريا، وتحول "هيئة تحرير الشام" من جماعة معارضة إلى سلطة انتقالية، لاحت فرصة جديدة في الأفق أمام إسرائيل لاستغلال تخوف الطائفة الدرزية من الحكام الجدد من أجل توسيع العمل بمبدأ شد الأطراف واتخاذ من دروز سوريا حلفاء في مواجهة العرب السنة، أسوأ بما حدث مع الدروز الفلسطينيين والمحاولات الجارية مع دروز الجولان المحتل. ولهذا، سارعت إسرائيل بإعلان "مبدأ نتانياهو"، أو "حماية الأقلية الدرزية في سوريا" من النظام السوري الانتقالي، وحذرت النظام الانتقالي السوري بقيادة الرئيس المؤقت أحمد الشرع من تهديد أبناء الطائفة الدرزية السورية، أو من تقوية نفوذ الحكومة العسكري في الجنوب السوري، أو من السماح لجماعات أخرى من تهديد الدروز (كتنظيم الدولة الإسلامية - داعش) كما سبق وتقدم.

وبالفعل، تدخلت إسرائيل - خلال نهاية أبريل وأول مايو - عسكريًا، ووجهت ضربات ضد أهداف تابعة لمسلحين موالين للحكومة السورية المؤقتة بهدف حماية

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

الأقلية الدرزية عقب اندلاع مناوشات طائفية بين الدروز والسنة في جرمانا وصحنايا جنوب دمشق، وذلك على خلفية بث مقطع صوتي على شبكات التواصل الاجتماعي منسوب إلى رجل دين درزي ضد النبي محمد ﷺ. وقد طالت الضربات الإسرائيلية عددًا من المواقع القريبة من القصر الرئاسي في العاصمة السورية دمشق،⁽⁶⁰⁾ كما أعلنت إسرائيل استعداد قواتها المتمركزة في المناطق السورية التي تم التوسع فيها عقب سقوط الأسد حماية الدروز في سوريا حال فشلت الحكومة السورية في ذلك.⁽⁶¹⁾

2.4. تفكيك "محور المقاومة" والقضاء على دور سوريا كفاعل

جيواستراتيجي فيه

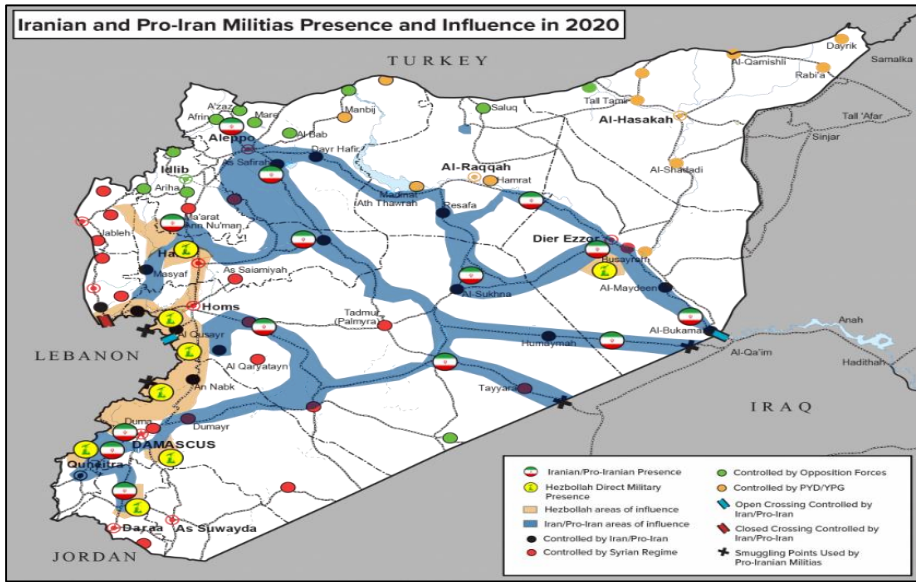
بالنظر إلى خريطة الشرق الأوسط، يُلاحظ أن سوريا تحتل موقعًا جغرافيًا استراتيجيًا بالنسبة "لمحور المقاومة" الذي كانت أحد أهم فاعليه الجيواستراتيجيين حتى اندلاع الأزمة السورية عام 2011. ولذلك، اعتمدت إيران -القوة الإقليمية المتزعمة للمحور- على سوريا وموقعها الاستراتيجي كمر لتوصيل الدعم الإيراني عبر العراق إلى باقي أعضاء محور المقاومة، لا سيما حزب الله اللبناني وحركات المقاومة الفلسطينية. كذلك بالنظر إلى خريطة رقم (5)، يُلاحظ أن جنوب سوريا تحديدًا -الذي يتركز فيه الدروز- المنطقة الأهم في هذا الممر، وذلك أيضًا بسبب موقعه الاستراتيجي المتاخم لجنوب لبنان الذي يسيطر عليه حزب الله. وقد ظلت هذه المواقع الاستراتيجية تحت سيطرة النظام حتى سقوطه.

كما سبق وتقدم في المبحث الأول، رغم أن الأزمة السورية قد أدت بدرجة كبيرة إلى تقويض دور سوريا كفاعل جيواستراتيجي في "محور المقاومة"، بعدما انشغل النظام بقتال المعارضة السنية داخليًا، ظل موقع سوريا الاستراتيجي مصدر تهديد بالنسبة

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإشرافية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

لإسرائيل يجب تحييده، لا سيما مع تزايد نفوذ القوات التابعة لحزب الله وإيران وروسيا وتركيا في سوريا خلال سنوات الأزمة.

خريطة (5) مناطق نفوذ إيران وحزب الله في سوريا عام 2020
(لاحظ في الخريطة باللون الأزرق مناطق نفوذ إيران وحلفاءها في سوريا ونقاط العبور
والتهريب من العراق إلى لبنان)



المصدر: Factbox: Iranian influence and presence in Syria - Atlantic Council

ورغم أن سوريا لم تشارك مباشرة كجبهة إسناد لحركة حماس عقب اندلاع الحرب الإسرائيلية على غزة في أكتوبر عام 2023، وذلك بعكس باقي أعضاء محور المقاومة كحزب الله اللبناني والحوثيين وإيران نفسها الذين تدخلوا لإسناد غزة، ظلت إسرائيل تنظر إلى سوريا كتهديد، وذلك لسببين: (62)

✓ موقع سوريا الاستراتيجي المجاور لمناطق سيطرة حزب الله اللبناني المشارك في جبهة إسناد غزة، واستمرار سيطرة النظام على جنوب سوريا، والتمركز العسكري القوي لقوات روسيا وإيران وحزب الله في الجنوب، وتخوف إسرائيل من استمرار استغلال الجنوب السوري كممر لنقل الدعم الإيراني إلى حزب الله اللبناني.

✓ ظل الوجود العسكري الإيراني في سوريا هو الأعلى من بين القوى الأجنبية الأخرى، كما ظلت القوات الإيرانية في سوريا مهيمنة على الطرق الحيوية ومنها الطرق المؤدية إلى الحدود اللبنانية، وذلك رغم عمليات إعادة التموضع في سوريا ورغم انسحاب جزء كبير من القوات الإيرانية من سوريا خلال الحرب الإسرائيلية على غزة. (راجع خريطة رقم 5)

نتيجة لذلك، قدّم سقوط نظام الأسد فرصة كبرى لإسرائيل للتخلص نهائياً من التهديد السوري، وتحديد ما تبقى ممن له دور في محور المقاومة، بل ومنعه من استعادة مكانته كفاعل جيوسراتيجي في هذا المحور. فبمجرد سقوط النظام، انسحبت القوات الإيرانية وحزب الله من سوريا، بينما سارعت إسرائيل بالتوسع في الجنوب السوري والسيطرة على مساحات لم يسبق لها السيطرة عليها، كما وجهت ضربات إلى مراكز الجماعات الموالية لنظام الأسد وإيران وحزب الله، ما أدى إلى حرمان إيران -خصمها الجيوبوليتيكي الإقليمي الرئيس- من جنوب سوريا كممر لتوصيل الدعم إلى حزب الله في جنوب لبنان، وهو ما أثر سلباً على نظرية الأمن الإيرانية التي تقوم على أسس استخدام الحلفاء الإقليميين الأعضاء في محور المقاومة لردع أي عمل عسكري إسرائيلي محتمل ضدها، وهو ما يفسر تزايد التهديدات الإسرائيلية والأمريكية بعمل

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

عسكري ضد إيران عقب الضربات الكبيرة التي نالت من قدرات وقادة أعضاء محور المقاومة. علاوة على ذلك، أعلن الرئيس السوري المؤقت أحمد الشرع فك الارتباط مع إيران، وأنه لن يسمح باستغلال الأراضي السورية لتوجيه هجمات ضد إسرائيل أو أي دولة أخرى، مشددًا على أولوية بناء سوريا على التورط في صراعات إقليمية.⁽⁶³⁾ بل وهناك مصادر إسرائيلية تشير إلى انفتاح الرئيس السوري على التطبيع مع إسرائيل بشرط بقاء سوريا دولة موحدة ذات سيادة.⁽⁶⁴⁾

3.4. إضعاف الوحدة الوطنية السورية وتقسيم سوريا على أساس طائفي

كما سبق وتقدم في المبحث الأول، ترغب إسرائيل -في إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد- في تصفية جميع القوى الإقليمية المنافسة، ولديها خطط لتقسيم دول عربية على أساس عرقي وطائفي بهدف ضمان الهيمنة العسكرية والاقتصادية المنفردة على المنطقة. وفي مواجهة محاولات السلطة الانتقالية السورية الحفاظ على وحدة واستقرار الدولة السورية، تقدّم السياسات الإسرائيلية الهادفة إلى التقرب من الطائفة الدرزية فرصةً للحفاظ على حالة من "الفوضى المنضبطة" في سوريا؛ وهي الحالة التي تضمن ألا تتحول الأخيرة إلى تهديد أمني لإسرائيل بسبب الفوضى الكاملة، وألا تستعيد مكانتها كدولة موحدة مستقرة. وقد استغلت إسرائيل واقع التعدد الطائفي (والعرقي) السوري كأداة لضمان تحقيق حالة "الفوضى المنضبطة" المنشودة، وتتطلع للتقرب إلى الطائفة الدرزية التي تتطلع فئة منها لمحاكاة تجربة "الحكم الذاتي" لأكراد سوريا في الشمال، وتتوجس من الأغلبية السنية والسلطة الحاكمة.^(*)

لا تقتصر المكاسب الإسرائيلية على حرمان سوريا من استعادة وحدتها الوطنية واستقرارها فقط، بل إن التقارب مع الأقليات الطائفية (والعرقية) في سوريا قد يسرّل

تنفيذ خطط إسرائيل القديمة حول تقسيم سوريا -من بين دول عربية أخرى- على أساس طائفي، ما يشجع تأسيس دويلات طائفية وعرقية جديدة على أنقاض سوريا، مثل "الدولة الدرزية" ("الدولة الكردية") التي تأمل إسرائيل بأن تكون حليفة لها مستقبلاً تفعيلاً لمبدأ شد الأطراف الإسرائيلي السابق الإشارة إليه.^(*) ويعود تاريخ خطة إسرائيل لإقامة "دولة درزية" إلى عام 1967، وسعت إسرائيل لتنفيذها باستغلال الهزيمة العربية آنذاك بتشجيع الطائفة الدرزية ليكون لها دولتها المستقلة، ولكن فشلت المحاولة بسبب معارضة الدروز السوريين لهذا المشروع وتمسكهم بالهوية الوطنية السورية.⁽⁶⁵⁾

في مقابل الفشل السابق في تنفيذ خطط تقسيم سوريا، تقدّم الظروف السياسية الداخلية السورية ما بعد الأسد فرصة لإسرائيل لإعادة تنفيذ هذه الخطط مرة أخرى. ففي الشمال، خطا أكراد سوريا خطوات مهمة على طريق الحكم الذاتي خلال سنوات الأزمة السورية. وفي الجنوب، انقسم الدروز تجاه السلطة الانتقالية السورية إلى ثلاث فئات؛ تدعو الأولى إلى اللامركزية مع الدولة السورية، وتدعو الثانية إلى الاندماج التام في الدولة السورية، وتتطلع الثالثة لمحاكاة النموذج الكردي السوري.⁽⁶⁶⁾ وفي ظل هذه الظروف من المتوقع أن:

✓ تراهن إسرائيل على عامل الهوية كوسيلة لتقسيم سوريا واستقطاب الدروز، مثلما فعلت مع الدروز الفلسطينيين وتحاول مع دروز الجولان المحتل، وذلك من خلال تعزيز الهوية الدرزية المستقلة للسوريين بعيداً عن الهوية العربية، واستخدام دروز إسرائيل لتعزيز الترابط مع دروز سوريا وإبعادهم عن الانتماء العربي، الأمر الذي ظهرت بوادره في

المساعدات المقدّمة لدروز سوريا، وإبداء الاستعداد لاستقبالهم للعمل داخل إسرائيل.

✓ توثق إسرائيل التحالف مع الجماعات الدرزية في السويداء، لا سيما الراغب منها في محاكاة التجربة الكردية السورية. خاصةً بعدما شكل الدروز -عقب سقوط نظام الأسد مباشرةً- "المجلس العسكري الدرزي" من عدد من المليشيات الدرزية للدفاع عن دروز السويداء وملء الفراغ الناتج عن انسحاب الجيش النظامي السوري من الجنوب، ورغم أن قائد المجلس العسكري -العقيد طارق الشوفي المنشق عن الجيش السوري- أعلن استعداده للانضمام إلى الجيش السوري الجديد، وأن ليس له دوافع انفصالية، إلا أن الإعلان عن تشكيل المجلس بعد زيارة "مجلس سوريا الديمقراطية" (مسد) الذراع السياسي "لقوات سوريا الديمقراطية" (قسد) المقربة من الولايات المتحدة يثير مخاوف حول النوايا الحقيقية للمجلس العسكري الدرزي. ولكن هذا لا ينفي تمسك كبار قادة دروز السويداء بالانتماء للدولة السورية.⁽⁶⁷⁾

4.4. أهمية هضبة الجولان وجبل الشيخ في تعزيز الأمن الإسرائيلي التقليدي

عقب سقوط نظام الأسد، توسعت إسرائيل جغرافيًا في جنوب سوريا على طول تخوم الجولان السوري المحتل في جبل الشيخ (أو جبل حرمون) وفي المنطقة العازلة المحددة وفقًا لاتفاق عام 1974 (راجع خريطة رقم 1)، تلك المناطق التي بها تواجد درزي. ورغم أن التصريحات الإسرائيلية الأولية أكدت أن هذا التمدد مؤقت لضبط الأمن، تغيرت اللهجة الإسرائيلية بعد شهور قليلة مع الإعلان أن البقاء في جنوب سوريا

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

سيكون لأجل غير مسمى⁽⁶⁸⁾، ولهضبة الجولان المحتلة منذ عام 1967 وكذلك جبل الشيخ الذي توسعت فيه إسرائيل عقب سقوط نظام الأسد أهمية أمنية كبرى لإسرائيل، وذلك بالوضع في الاعتبار الجوهر التقليدي لمفهوم الأمن ببعده العسكري، كالتالي:

❖ صون أمن منطقة الجولان ضد تهديد "محور المقاومة" والنظام

السوري الجديد

كما سبق وتقدم، يضم الجولان السوري المحتل عددًا من القرى الدرزية، ووصل عدد سكانه الدروز عام 2024 إلى 29,000 نسمة، كما يعيش عدد من الدروز في محافظة دمشق المتاخمة للجولان المحتل. (راجع خريطة رقم 2).

ومن المنظور الإسرائيلي، زادت التهديدات الأمنية التي يواجهها الجولان المحتل مع بداية الحرب الإسرائيلية على غزة، وذلك مع مشاركة حزب الله اللبناني في الحرب كجبهة إسناد لغزة. ولما كانت إيران وحزب الله قبل الحرب قد حرصتا على تجنيد دروز سوريا في مناطق مختلفة من المنطقة العازلة بين سوريا وإسرائيل في تنظيمات ضد الأخيرة⁽⁶⁹⁾، خشيت إسرائيل من احتمال تهديد إيران وحزب الله لأمن الجولان السوري أو استهدافه عسكريًا ضمن أعمال إسناد غزة. نتيجة لذلك، حرصت إسرائيل على صون أمنها وأمن الجولان ضد أي هجمات أخرى محتملة قد يشنها حزب الله أو القوات الإيرانية المتواجدة في سوريا. وبالفعل، وبناء على طلب إسرائيل، تم الاتفاق مع روسيا كي تحل قوات روسية محل قوات إيرانية في الجنوب الروسي لتأمين جبهة الجولان المحتل عقب الحرب على غزة⁽⁷⁰⁾. إضافة إلى ذلك، قدّم سقوط نظام الأسد فرصة لإسرائيل لتعزيز

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

أمن الجولان المحتل من أي تهديد محتمل حتى من النظام السوري الجديد، فعقب انسحاب قوات إيران وحزب الله من سوريا سارعت إسرائيل بالتوسع والسيطرة على جبل الشيخ (أو حرمون) والمنطقة العازلة التي تفصل إسرائيل عن سوريا منذ عام 1974. وقد تعزز هذه التوسعات السيطرة الإسرائيلية على المناطق الدرزية، ما يعزز التواصل بين الدروز الموجودين في كل من إسرائيل والجولان المحتل وسوريا.

❖ تشديد المراقبة على الدول العربية المحيطة بإسرائيل

بالرغم من التطورات التكنولوجية الحديثة وزيادة الاعتماد على الأقمار الصناعية والطائرات الذكية في مراقبة المواقع الأرضية، ما زال العامل الجغرافي يحتفظ بأهميته، وما زالت التضاريس والمرتفعات كالهضاب والجبال تتمتع بأهمية استراتيجية في عمليات الاستطلاع والمراقبة. وفي ضوء ذلك، لهضبة الجولان أهمية أمنية بالنسبة لإسرائيل بفضل ارتفاعها عن سطح الأرض، ما يجعلها منصة مهمة لمراقبة الدول المحيطة بإسرائيل ولا سيما سوريا وجنوب لبنان والأردن، وهذا يفسر رفض إسرائيل القاطع التخلي عن الجولان.

بالمثل، لجبل الشيخ^(٩) أهمية أمنية تضاهي أهمية هضبة الجولان، فالجبل ذو ارتفاع شاهق، ويمكن استغلاله أمنياً في مراقبة الدول العربية المحيطة بإسرائيل. ونتيجة لأهمية الجبل في المراقبة والاستطلاع، حرصت إسرائيل على السيطرة عليه خلال حرب عام 1967 وقامت بتركيب أجهزة الاستطلاع والإنذار المبكر على قممه، وذلك قبل أن يتم تحريره عام 1973 وإعادته للسيادة السورية.⁽⁷¹⁾

وقد قدّم سقوط نظام الأسد فرصة كبيرة لإسرائيل لتعزيز أمنها التقليدي؛ فبمجرد سقوط النظام أعادت إسرائيل السيطرة على هذا الجبل الاستراتيجي. ولا تعبير

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

عن المكسب الأمني الكبير الذي حققته إسرائيل من السيطرة على الجبل أبلغ من تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي كاتس بأن "كل صباح، عندما يفتح الشرع عينيه في القصر الرئاسي بدمشق، سيرى الجيش الإسرائيلي يراقبه من مرتفعات جبل الشيخ، ويتذكر أننا هنا، وفي جميع المناطق الأمنية في جنوب سوريا، لحماية سكان الجولان والجليل من أي تهديد".⁽⁷²⁾

❖ زيادة العمق الاستراتيجي الإسرائيلي على طول الحدود السورية

نظرية العمق الاستراتيجي من أهم النظريات الموجّهة للاستراتيجية الإسرائيلية الشرق أوسطية؛ فإسرائيل تنظر لنفسها دومًا كدولة صغيرة المساحة تقع وسط محيط عربي معادٍ كبير، وبالتالي تفتقر إلى العمق الاستراتيجي اللازم لصون أمنها، وهذا يدفعها دومًا إلى إقامة مناطق عازلة أو مناطق منزوعة السلاح حول الأراضي التي تسيطر عليها بهدف تحسين وضعها الأمني في مواجهة الدول العربية المحيطة. وبالفعل، مع توقيع اتفاق فض الاشتباك مع الحكومة السورية عام 1974، تأسست منطقة عازلة برعاية أممية على طول الحدود السورية (والجولان)، وذلك للفصل بين الأراضي السورية والأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل (راجع خريطة رقم 2).

وقد قدّم سقوط نظام الأسد فرصةً لإسرائيل للتوسع في تلك المنطقة العازلة من أجل زيادة العمق الاستراتيجي الإسرائيلي. وبالفعل، سيطرت إسرائيل على مساحة 303 كم² بعد المنطقة العازلة، كما أعلنت رغبتها في إنشاء منطقة عازلة للحد من تهديد خلايا إيران وحزب الله، رغم انسحاب قوات الأخيرتين من سوريا،⁽⁷³⁾ وربما في مواجهة أي تهديد محتمل قد يمثله النظام الانتقالي السوري للجولان.

5.4. أهمية المناطق الدرزية السورية في تعزيز الأمن المائي الإسرائيلي

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

يحتل أمن المياه العذبة مكانة كبيرة في الاستراتيجية الإسرائيلية الشرقية أوسطية، حيث تعاني إسرائيل من مشكلة حقيقية في توفير المياه العذبة. وقد أكد قادة الحركة الصهيونية الأوّل، مثل حاييم وايزمان وثيودور هرتزل، على أهمية ضم إسرائيل للمناطق المحيطة والغنية بالمياه العذبة مثل نهر الليطاني في جنوب لبنان، ونهر الأردن من أجل الري والتنمية الاقتصادية.⁽⁷⁴⁾

ما زالت مشكلة المياه العذبة قائمة؛ فوفقًا لمعهد المياه العالمي، تقع 12 من أكبر 17 دولة تعاني من فقر المياه في منطقة الشرق الأوسط، وتقع قطر وإسرائيل ولبنان على رأس القائمة. وتعد بحيرة طبريا ونهر الأردن والمياه الجوفية على طول الحدود والجبال مع الأردن وسوريا أهم المناطق التي تحصل منها إسرائيل على موارد المياه العذبة. وبحلول عام 2018، كانت إسرائيل تعيد استخدام 87% من المياه المعالجة لأغراض الزراعة، علمًا بأن عملية إعادة استخدام المياه مكلفة جدًا. إضافة إلى ذلك، فاقمت ظاهرة التغيرات المناخية المشكلة؛ حيث انخفض مستوى المياه الجوفية وزادت ملوحتها. وقد دفعت هذه المشكلات إسرائيل للتطلع إلى المياه الإقليمية مثل نهر اليرموك في الأردن وسوريا^(*) ونهر الليطاني في لبنان من أجل سد احتياجاتها المائية.⁽⁷⁵⁾

وبالنظر إلى خريطة الموارد المائية السورية وخريطة المناطق التي توسعت إسرائيل فيها (انظر خريطة رقم 6، رقم 1)، يتضح أن التوسعات الإسرائيلية عقب سقوط نظام الأسد تسهم بدرجة كبيرة في تعزيز "الأمن المائي" الإسرائيلي والوصول إلى موارد مياه عذبة إضافية كالتالي:

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

❖ بالنسبة لهضبة الجولان وجبل الشيخ

إضافة إلى أهميتها الأمنية، هضبة الجولان من أهم المناطق التي تحصل منها إسرائيل على المياه العذبة، فهي إحدى منابع المهمة التي تمتد بحيرة طبريا ونهر الأردن بالمياه العذبة.⁽⁷⁶⁾ وهذا يفسر سبب رفض إسرائيل الكامل التخلي عن الهضبة، بل والحرص على الحصول على الاعتراف الأمريكي بكونها جزءاً من الأراضي الإسرائيلية، وهو ما حدث بالفعل خلال فترة رئاسة ترامب الأولى.

وقد قدّم سقوط نظام الأسد فرصة كبرى لإسرائيل لتعزيز أمنها المائي؛ حيث توسعت إسرائيل في الأراضي السورية المتاخمة لهضبة الجولان المحتلة، وسيطرت على المنطقة العازلة، كما سيطرت على جبل الشيخ الذي تضاهي أهميته هضبة الجولان كمصدر مهم من مصادر المياه العذبة. فبسبب ارتفاع الجبل الشاهق، تسقط عليه الأمطار وتدخل إلى الشقوق في قاعدة الجبل لتغذي المياه الجوفية والأنهار المحيطة.⁽⁷⁷⁾ أي أن التوسعات الإسرائيلية في هذه المناطق قد ساعدت إسرائيل على الوصول إلى موارد مياه عذبة جديدة لم تكن تصلها من قبل، ومن ثم تعزيز أمنها المائي.

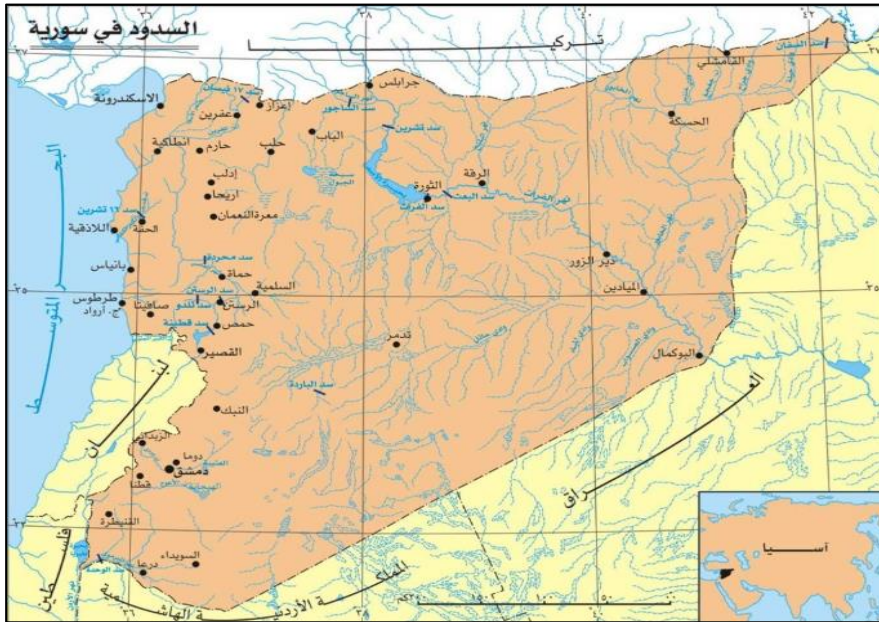
❖ الوصول إلى مصادر المياه في حوض نهر اليرموك

عقب سقوط نظام الأسد مباشرةً، توسعت إسرائيل في حوض نهر اليرموك جنوب سوريا، وهو النهر الذي تطلعت إسرائيل مؤخراً للسيطرة عليه من أجل تعزيز أمنها المائي، وهو يعد مصدراً مهماً للمياه العذبة لمحافظة القنيطرة ودرعا والسويداء السورية إضافة إلى شمال الأردن (انظر خريطة رقم 6). وبفضل هذه التوسعات، أصبحت إسرائيل تسيطر على 40% من الموارد المائية السورية والأردنية، وذلك بعد

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الذرية السورية

السيطرة على سد الوحدة (مشروع سوري - أردني مشترك يتبع محافظة درعا السورية) في ديسمبر 2024، قبل أن تتقدم للسيطرة على سد المنطرة (في محافظة القنيطرة المتاخمة للجولان المحتل) في يناير 2025، ويقع كلا السدين في حوض نهر اليرموك،⁽⁷⁸⁾ ما يؤكد أن التوسعات الإسرائيلية الأخيرة في سوريا لا تنفصل عن طموحات تعزيز الأمن المائي الإسرائيلي.

خريطة (6) السدود في سوريا



المصدر: موقع عالم عربي، <https://alamarabi.com/>

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

❖ الحصول على موطء قدم ومواجهة النفوذ الأجنبي المنتشر في سوريا

منذ 2011

خلال سنوات الأزمة السورية، أصبح لروسيا وإيران وحزب الله اللبناني وتركيا بل و"التحالف الدولي ضد داعش" بقيادة الولايات المتحدة نفوذ وتواجد كبيران في سوريا، ما أدى إلى تقسيم سوريا فعلياً إلى مناطق نفوذ أجنبية إضافة إلى منطقة نفوذ نظام الأسد نفسه. في المقابل، لم تكن إسرائيل منطقة نفوذ في سوريا، بل اقتصر الأمر على محاولات التقرب إلى الطائفة الدرزية السورية وتوجيه ضربات عسكرية انتقائية إلى النظام السوري والمعارضة "الجهادية" المسلحة على حد سواء، حال هدد أي منهما المصالح الإسرائيلية.

وقد قدّم سقوط نظام الأسد فرصة كبيرة لإسرائيل لتحقيق ثلاثة مكاسب: أولها؛ التدخل عسكرياً والتوسع إقليمياً للحصول على نفوذ وموطء قدم في جنوب سوريا، وهو إنجاز جديد لم تحققه إسرائيل في سوريا منذ احتلالها الجولان عام 1967، وثانيها؛ استغلال هذا النفوذ كورقة ضغط محتملة للمساومة على المصالح الإسرائيلية مستقبلاً، بل والتأثير في مستقبل سوريا السياسي داخلياً وخارجياً، ⁽⁷⁹⁾ وثالثها؛ استغلال هذا النفوذ في مواجهة نفوذ القوى الأجنبية الأخرى المنتشرة في سوريا.

وفيما يتعلق بالمكسب الثالث الخاص بمواجهة نفوذ القوى الأجنبية الذي انتشر في سوريا خلال سنوات الأزمة،(*) يُلاحظ أن سقوط نظام الأسد قد أدى إلى تغيير خريطة النفوذ الأجنبي في سوريا؛ فقد تقلص نفوذ إيران وحزب الله بدرجة كبيرة بعدما انسحبت قواتهما عقب سقوط النظام وبعدها أعلنت الحكومة الانتقالية السورية فك الارتباط مع إيران، كما قلّمت إسرائيل أظافر الجيش السوري بتوجيه ضربات

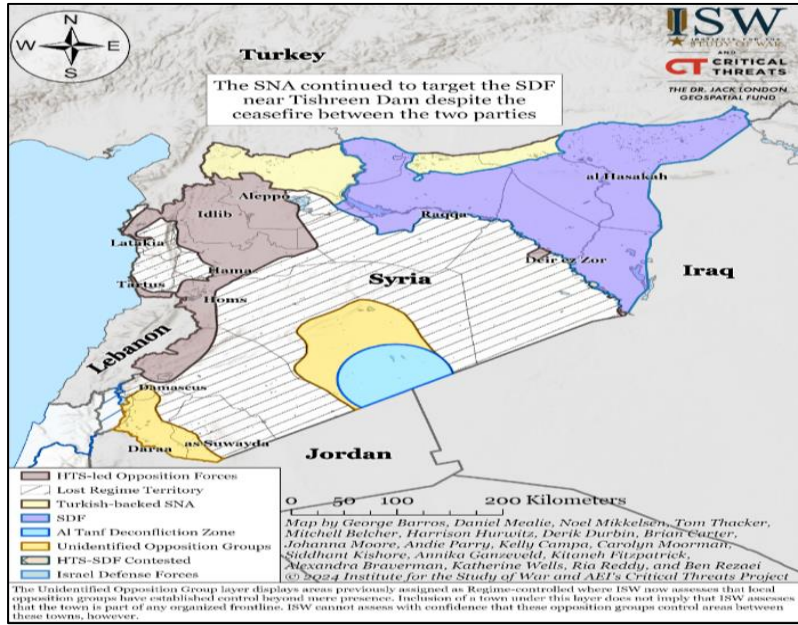
جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

لقواعده، كما أن استمرار الوجود العسكري الروسي في قاعدتي اللاذقية وطرطوس مهدد ولو على المستوى النظري. في المقابل، تزايد النفوذ التركي كثيرًا في سوريا عقب سقوط الأسد، بل اعتبرها البعض الرابع الأكبر من سقوط النظام؛ حيث تمدد نفوذها بدرجة كبيرة في سوريا لا سيّما في مناطق الشمال الكردية، كما أن النظام السوري الانتقالي الذي وصل إلى سدة الحكم موالٍ ومقرب منها بدرجة كبيرة. (انظر خريطة رقم 7).

نتيجة لذلك، أصبح النفوذ التركي أهم نفوذ أجنبي تسعى إسرائيل إلى مواجهته في سوريا، فإلى جانب المكاسب الجمة التي حققتها تركيا في سوريا عقب سقوط النظام، تركيا إحدى القوى الإقليمية الشرق أوسطية المشاركة في التنافس حول المكانة والنفوذ الإقليميين بجانب إيران وإسرائيل. وبالتالي، إن تصدّر التنافس الإيراني - الإسرائيلي للمشهد الشرق أوسط لا يعني أن إسرائيل ستجرب بدور تركي كبير في سوريا، أو ستسمح بالهيمنة التركية على المنطقة. وفي ضوء الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية التي تهدف في النهاية إلى الانفراد بالهيمنة على الشرق الأوسط وبدعم أمريكي، لا ترغب إسرائيل في نفوذ تركي كبير في سوريا يملأ الفراغ التي تركه نظام الأسد وإيران وحزب الله.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

خريطة (7) مناطق النفوذ في سوريا (13 ديسمبر 2025) عقب سقوط الأسد بأيام



المصدر: www.understandingwar.org

انطلاقاً مما سبق، ترى الباحثة أن التوسعات الإسرائيلية في جنوب سوريا وإعلان الحماية على الدروز لهما دور مهم في مواجهة النفوذ التركي المتزايد في سوريا، كما ترى أن تصادم المصالح الإسرائيلية - التركية في سوريا أمر لا مفر من حدوثه مستقبلاً نتيجة تعارض مصالح الطرفين. فمن جانب، التقارب الشديد بين تركيا والحكومة السورية الانتقالية (المحسوبة على هيئة تحرير الشام) أمر يتعارض مع مصالح إسرائيل التي تتخوف من وجود أنظمة ذات مرجعية إسلامية أو متطرفة على حدودها. ومن جانب آخر، الدور التركي في إضعاف شوكة الجماعة الكردية - التي تعتبرها تركيا تهديداً - في شمال سوريا أمر يتعارض مع المصالح الإسرائيلية التي تتطلع إلى التقرب من

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

الأكراد وإدماجهم في "مبدأ شد الأطراف" تمامًا مثل الدروز وذلك في مواجهة الأغلبية العربية، بل ووجود خطط إسرائيلية طامحة لتأسيس دولة كردية مستقلة مشابهة لخطط إقامة دولة درزية. والجدير بالذكر، إن إسرائيل دعت لوقف الهجمات التركية ضد الأكراد، وعرضت حمايتهم كأقلية في سوريا، الأمر الذي نال ترحيب الإدارة الذاتية الكردية التي لوححت بالحوار مع إسرائيل.⁽⁸⁰⁾

وبالفعل، ظهرت بوادر هذا الصدام مع شروع إسرائيل -خلال الأيام الأولى من أبريل عام 2025- في قصف مطاريّ حماة وتي فور (T4) العسكريين اللذين كانت تُعدّهما تركيا ليكونا مركزين عسكريّين لها في وسط سوريا، وهي رسالة واضحة لتركيا بأن إسرائيل لن تسمح بتزايد نفوذ أي قوة إقليمية أخرى في سوريا.⁽⁸¹⁾

5.الخاتمة

عقب سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024، سارعت إسرائيل بالتوسع جنوب سوريا، ولا سيّما في المناطق المتاخمة للجولان السوري المحتل، فسيطرت على جبل الشيخ والمنطقة العازلة التي تشكلت عام 1974، كما أعلنت مبدأ الحماية على دروز سوريا. في ضوء هذه التحركات، استهدف البحث تحليل الأهمية الجيوبوليتيكية التي يشغلها جنوب سوريا والدروز في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية والأسباب الحقيقية لإعلاء هذا المبدأ، وذلك انطلاقًا من فرض بحثي مفاده أن هذا المبدأ الإسرائيلي الذي يبدو إنسانيًا يهدف إلى صون مصالح وتحقيق أهداف أخرى. وقد انتهى البحث إلى النتائج التالية:

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

- ✓ لسوريا أهمية جيوبوليتيكية كبرى في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية، فهي ظلت فاعلاً جيوسراتيجياً إقليمياً مهماً حتى اندلاع الأزمة السورية عام 2011، كما أنها عضو مهم في محور المقاومة الذي تزعمه إيران خصم إيران الجيوبوليتيكي الإقليمي الرئيس.
- ✓ مبدأ حماية الأقلية الدرزية الذي أعلنته إسرائيل في مارس 2025 مكمل لمبدأ شد الأطراف الإسرائيلي الذي يعول على التقرب إلى الأقليات العرقية والطائفية في منطقة الشرق الأوسط في مواجهة الخصوم، ومنها الطائفة الدرزية التي انسلخت من العقيدة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية الباطنية، رغم كون الدروز عرباً من حيث الأصل العرقي.
- ✓ التحركات الإسرائيلية تجاه جنوب سوريا عقب سقوط الأسد جزء لا يتجزأ من السياسة الإسرائيلية تجاه سوريا، وهي تعبير عن الأهمية الجيوبوليتيكية التي يشغلها جنوب سوريا والدروز الذين يتركزون بالأساس في محافظات الجنوب، لا سيما السويداء والقنيطرة ودمشق.
- ✓ التوسع الإقليمي في الجنوب وإعلان الحماية على الدروز يمكن أن يحقق لإسرائيل عدداً من المكاسب الجيوبوليتيكية منها: استقطاب دروز جنوب سوريا في مبدأ شد الأطراف، القضاء على ما تبقى لسوريا من دور كفاعل جيوسراتيجي إقليمي وتفكيك محور المقاومة بحرمانه من جنوب سوريا كمرر استراتيجي لتوصيل الدعم للحلفاء، الإضرار بالوحدة الإقليمية السورية وتفكيك سوريا على أساس طائفي، صون أمن الجولان المحتل وإسرائيل ضد أي هجمات مع استغلال الجنوب في المراقبة وتوسيع العمق

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

الاستراتيجي الإسرائيلي، تعزيز الأمن المائي الإسرائيلي بالسيطرة على السدود ومصادر المياه العذبة في الجنوب، وأخيرًا مواجهة النفوذ الأجنبي في سوريا ولا سيّما التركي الذي تزايد بدرجة كبيرة في سوريا ما بعد الأسد.

✓ تبنت إسرائيل خيار التوسع الإقليمي تجاه مناطق الجنوب السوري المتاخمة للجولان فقط، وذلك بعكس السياسات الناعمة التي تبنتها تجاه السويداء الذي يقع على الحدود الأردنية ولا تجمععه بإسرائيل حدود مشتركة.

6. قائمة الهوامش

(1) شيخ الموحدين الدروز الحناوي: لم نطلب الحماية من أحد ويجب إعطاء الفرصة للشرع، روسيا اليوم، 14 مارس 2025، متاح على: <https://arabic.rt.com/>

(2) عبور وفد من شيوخ الموحدين الدروز من قرى جبل الشيخ إلى إسرائيل، روسيا اليوم، 14 مارس 2025، متاح على: <https://arabic.rt.com/>

(3) الهجري يطالب بـ"تدخل دولي عاجل" لحماية الدروز في سوريا، سكاي نيوز عربية، الأول من مايو 2025، الخبر متاح على: www.skynewsarabia.com، وأيضًا: المجلس العسكري في السويداء يؤيد "الهجري" في طلب الحماية الدولية، إرم نيوز، 2 مايو 2025، الخبر متاح على: www.ermnews.com، وأيضًا: الجيش الإسرائيلي يعلن استعداد قواته لحماية الدروز في سوريا وتدنيد واسع بالغايات الإسرائيلية، بي بي سي نيوز عربي، 3 مايو 2025، الخبر متاح على: www.bbc.com

(4) قدرى محمود إسماعيل، التحليل الجيوبوليتيكي لعلاقات القوى الدولية، دار فاروس العلمية للنشر والتوزيع (الإسكندرية - مصر)، 2021، ص 217.

(5) للمزيد حول تقاطع أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية والأمريكية الشرق أوسطيتين راجع: أميرة السيد حسن صديق، التنافس الإيراني - الإسرائيلي - التركي في الشرق الأوسط: دراسة

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

- جيوبوليتيكية (2001 - 2014)، رسالة دكتوراة (جامعة الإسكندرية - كلية التجارة)، 2017، ص 202.
- (6) نتانياهو: نتبع خطة منهجية لتغيير واقع الشرق الأوسط، سكاي نيوز عربية، 30 سبتمبر 2024، الخبر متاح على: www.skynewsarabia.com
- (7) أميرة السيد حسن صديق، التنافس الإيراني - الإسرائيلي - التركي في الشرق الأوسط، مرجع سبق ذكره، ص 137.
- (8) المرجع السابق، ص 137.
- (9) للمزيد عن أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية راجع: المرجع السابق، ص 146-148.
- (10) المرجع السابق، ص 139.
- (11) قدرى محمود إسماعيل، دراسة في الجغرافيا السياسية، أليكس لتكنولوجيا المعلومات (الإسكندرية - جمهورية مصر العربية)، 2004، ص 159.
- (12) أميرة السيد حسن صديق، الأبعاد الجيوبوليتيكية للثورة السورية، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية (الإسكندرية - مصر)، عدد 2، مجلد 54، الجزء الثالث، يوليو 2017، ص 198.
- (*) ظهر مصطلح الفاعل أو اللاعب الجيوستراتيجي (Geostrategic Player) في كتاب زيجنيو بريجنسكي الشهير "رقعة الشطرنج الكبرى" (The Grand Chessboard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives) الصادر عام 1997.

(13) أميرة السيد حسن صديق، الأبعاد الجيوبوليتيكية للثورة السورية، مرجع سبق ذكره، ص 201. وللمزيد عن سياسات المحاور في الشرق الأوسط راجع: أميرة السيد حسن صديق، "التداعيات الجيوبوليتيكية للحرب الإسرائيلية على غزة"، السياسة الدولية (مؤسسة الأهرام - مصر)، عدد 237، يوليو 2024، ص 30.

(14) أميرة السيد حسن صديق، "الأبعاد الجيوبوليتيكية للثورة السورية"، مرجع سبق ذكره، ص 202.

(15) أميرة السيد حسن صديق، التنافس الإيراني - الإسرائيلي - التركي في الشرق الأوسط، مرجع سبق ذكره، ص 139، 147.

(16) شيرين شريف، ما هي المناطق التي أعلنت إسرائيل استمرار السيطرة عليها في جنوب سوريا؟، بي بي سي نيوز عربي، 17 فبراير 2025، الخبر متاح على: www.bbc.com

(17) قدرى محمود إسماعيل، دراسة في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 157-158.

(18) يوسي ألفر، العلاقات الإسرائيلية المتوترة مع تركيا وإيران: بُعد شد الأطراف، سلسلة ترجمات الزيتونة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (بيروت - لبنان)، فبراير 2011، ص 1.

(*) سبق للقوى الكبرى تاريخياً إعلان الحماية على أقليات عرقية أو دينية بعينها كمدخل لتحقيق أهداف سياسية؛ فعلى سبيل المثال، وفي إطار التنافس الدولي حول النفوذ في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، أعلنت فرنسا الحماية على الطائفة المسيحية المارونية، بينما أعلنت بريطانيا الحماية على الطائفة المسلمة الدرزية، في حين أعلنت روسيا الحماية على الطائفة المسيحية الأرثوذكسية في الدولة العثمانية. وفي العصر الحديث، أعلنت روسيا "مبدأ التدخل لحماية الأقليات الروسية" أو "مبدأ ميديفيد" عام 2008، وما زال المبدأ مفعلاً حتى الآن، واستخدمته روسيا كثيراً لتبرير سياساتها تجاه دول الاتحاد السوفيتي السابق التي يعيش بها أقليات روسية. وللمزيد حول سياسات حماية الأقليات الطائفية في لبنان راجع: حمدي الطاهري، سياسة الحكم في لبنان، المطبعة العالمية (القاهرة - مصر)، ط 2، 1976، ص 47.

(*) بناءً على تعريف المبدأ الجيوبوليتيكي، أطلقت الباحثة "مبدأ نتانياهو" على "مبدأ حماية الأقلية الدرزية في سوريا"، وذلك لارتباطه بشخص رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي نتانياهو.

(19) ساهر غزاوي، "الدروز في الجولان المحتل: ستة عقود من تحديات وتعقيدات الواقع السياسي والثقافة"، مركز رؤية للتنمية السياسية (اسطنبول - تركيا)، سبتمبر 2024، ص3، الدراسة متاحة بصيغة pdf على: www.vision-pd.org

(20) المرجع السابق، ص4. وأيضًا: إنفوغرافيك.. خريطة التوزيع العرقي والطائفي في سوريا، سكاي نيوز عربية، 25 ديسمبر 2025، متاح على: www.skynewsarabia.com

(*) ظهر المذهب الشيعي الفاطمي في المغرب وأصبح المذهب الرئيس للدولة الفاطمية، أما المذهب الإسماعيلي فهو منشق عن المذهب الشيعي الإثني عشري وساد في فارس، والمذهب الدرزي منشق بدوره عن المذهب الإسماعيلي. أما الباطنية تعني أن لكل عمل وقول تأويلًا خاصًا باطنًا لا يعلمه إلا الأئمة والعلماء، أما الظاهرية تعني الإيمان بكافة الفرائض الدينية الظاهرة الموجودة في الدين الإسلامي (كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها من عبادات ظاهرة). للمزيد راجع: محمد كامل حسين، طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها، دار المعارف (القاهرة - مصر)، 1962، ص 11، 33، 86، 87، وأيضًا: ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص4.

(21) محمد كامل حسين، مرجع سبق ذكره، ص 34، 43، 44، 75.

(*) لدى الدروز عيدان دينيان كبيران هما عيد الأضحى الذي يشاركونه مع المسلمين كافة في ذات التوقيت، ويصلون فيه مثل المسلمين، وعيد خاص وهو عيد النبي شعيب (بمئذبة موسم حج خاص) بين 25 حتى 28 أبريل، كما يصومون في الأيام التسعة الأولى من ذي الحجة، وقد يصومون لفترات طويلة تهاديًا للنفس. للمزيد راجع: المرجع السابق، ص123، وأيضًا: فايز عزام، علاقة النبي شعيب صلوات الله عليه بالدروز، موقع الوديان، 25 أبريل 2015، المقال متاح على: www.wdian.org

(22) محمد كامل حسين، مرجع سبق ذكره، ص 8، ص 121 - 123.

(*) يرى المسلمون أنه لا دليل دامغ على أن النبي شعيب هو حمو النبي موسى وذلك بسبب وجود فجوة زمنية بين فترة بعث النبيين، لكن الفكرة يؤمن بها الدروز، للمزيد راجع: الشيخ بسام جزار، لماذا يرتبط الدروز بالنبي شعيب دونًا عن كل الأنبياء، قناة (Lessons of Sheikh Bassam Jarrar)، 6 مارس 2021، يوتيوب، الفيديو متاح على: www.youtube.com/watch?v=kYJKwL_MDbo

(23) للمزيد حول علاقة الدروز بالنبي شعيب تحديدًا من بين باقي الأنبياء راجع: المرجع السابق، وأيضًا: الشيخ بسام جزار، ما هي علاقة الدروز بالنبي شعيب عليه السلام، قناة (Lessons of

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مدى حماية الأقلية الدرزية السورية

(Sheikh Bassam Jarrar)، 22 مايو 2019، يوتيوب، الفيديو متاح على:
www.youtube.com/watch?v=77vjd5tIWpM، وأيضًا: فايز عزام، مرجع سبق ذكره.

(24) محمد كامل حسين، مرجع سبق ذكره، ص ص 10 - 12، 51.

(25) نبيه بشير، "تشكيل هوية أقليات متصهينة: الحالة الدرزية في إسرائيل"، قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (رام الله - فلسطين)، عدد 67، خريف 2017، ص 77 - 78، 80.

(26) لمزيد من التفاصيل حول إجراءات إدماج الدروز الفلسطينيين في الكيان الإسرائيلي راجع: المرجع السابق، ص 79 - 80، وأيضًا: محمود يزبك، الدروز في الدولة اليهودية: تاريخ موجز، مجلة الدراسات الفلسطينية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية - لبنان)، مجلد 11، عدد 43، صيف 2000، ص 1، وأيضًا: فايز عزام، علاقة النبي شعيب - صلوات الله عليه - بالدروز، موقع الوديان، 25 أبريل 2015.

(27) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 5.

(28) Fadi Amun, Taboo No More: One in Five Golan Druze Now Holds Israeli Citizenship, **Times of Israel**, January 6, 2025, available at: www.timesofisrael.com

(29) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 24، 25.

(30) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 24، 25.

(31) Fadi Amun, **Op. Cit.**

(32) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 24، 25.

(33) The Middle East Institute, Divide and Conquer: The Growing Hezbollah Threat to The Druze, **Policy Paper**, The Middle East Institute and ETANA Syria (Washington DC – USA and Damascus – Syria), October 2019, p.10 - 11.

(34) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 21، 22.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

(35) Fadi Amun, **Op. Cit.**

(36) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 23.

(37) المرجع السابق، ص 23.

(38) Fadi Amun, **Op. Cit.**

(39) ساهر غزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 16 – 17.

(40) The Middle East Institute, **Op. Cit.**, p.10.

(41) Fadi Amun, **Op. Cit.**

(42) The Middle East Institute, **Op. Cit.**, p.10.

(43) **Loc. Cit.**

(44) Andrew Bernard, Golani Druze View of Jewish State Changing After Assad's Fall: Israeli Druze Leader Says, **Jewish News Syndicate (JNS)**, January 8, 2025, available at: www.jns.org

(45) Mustafa Abu Ganeyeh, Druze Religious Elders from Syria Make Historic Visit to Israel, **Reuters**, March 14, 2025, available at: www.reuters.com. See also:

عبور وفد من شيوخ الموحدين الدروز من قرى جبل الشيخ إلى إسرائيل، روسيا اليوم، 14 مارس 2025، الخبر متاح على: www.arabic.rt.com

(46) موفق محمد، وفد درزي كبير في إسرائيل: بين رافض للخطوة ومؤكّد أنها "دينية بحتة"، الشرق الأوسط، 25 أبريل 2025، الخبر متاح على: www.aawsat.com

(47) إسرائيل تلغي قرار السماح بدخول العمال السوريين الدروز للعمل في الجولان، روسيا اليوم، 2 أبريل 2025، الخبر متاح على: www.arabic.rt.com

(48) نائر أبو صالح، مرجع سبق ذكره، ص 12.

(49) Udi Dekel, Nir Boms and Ofir Winter, Syria's New Map and New Actors: Challenges and Opportunities for Israel, **Memorandum**, No. 156, Institute for National Security Studies (INNS), (Tel Aviv – Israel), August 2016, p.43.

(50) The Middle East Institute, **Op. Cit.**, p.11.

(51) Mazen Ezzi, the Regime's Reach: Analyzing Damascus's Approach to Suwayda After 2011, **Policy Briefs**, Friedrich Ebert Stiftung (Beirut-Lebanon), December 2023, p.1-2.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

(52) ينشط في السويداء وبصافوف النظام .. "جيش الموحدين الدروز" وقصة "العلم الثالث"، زمان
الوصل، 23 نوفمبر 2013، المقال متاح على: www.zamanalwsl.net

(53) نعوم زيدان وماثيو ليفنت، دروز سوريا تحت التهديد، تحليل السياسات، المرصد السياسي، رقم
2437، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 17 يونيو 2015، المقال متاح على:
www.washingtoninstitute.org

(54) The Middle East Institute, **Op. Cit.**, p.11.

(55) **Loc. Cit.**

(56) Mazen Ezzi, **Op. Cit.**, p.2-4.

(57) للمزيد حول تاريخ قادة هيئة تحرير الشام بين تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)
وجبهة النظرة، راجع: دلال محمود، "تأثيرات التحول في سوريا في خريطة التنظيمات المسلحة"،
السياسة الدولية (مؤسسة الأهرام – مصر)، عدد 240، أبريل 2025.
(58) نعوم زيدان وماثيو ليفنت، مرجع سبق ذكره.

(59) Udi Dekel, Nir Boms and Ofir Winter, **Op. Cit.**, p.42 - 43.

(60) Bassem Mroue, What is Behind Latest Clashes In Syria Between Druze
and Pro-government Gunmen, **Times of Israel**, May 3rd 2025, available at:
www.timesofisrael.com

(61) الجيش الإسرائيلي يعلن استعداد قواته لحماية الدروز في سوريا وتنديد واسع بالغارات
الإسرائيلية، مرجع سبق ذكره.

(62) أنس شواخ، بشير نصر الله، أيمن أبو نقطة وآخرون، خريطة المواقع العسكرية للقوى
الخارجية في سورية منتصف 2024، خرائط تحليلية، مركز جسر للدراسات (اسطنبول –
تركيا)، يوليو 2024، ص 7.

(63) أحمد الشرع لصحيفة "التايمز": لن نسمح باستخدام سوريا لشن هجمات على إسرائيل
ونحذر من استمرار غاراتها، روسيا اليوم، 16 ديسمبر 2024، الخبر متاح على:
www.arabic.rt.com

(64) عضو في الكونغرس الأميركي: الرئيس السوري منفتح على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، الشرق
الأوسط، 25 أبريل 2025، الخبر متاح على: www.aawsat.com

(*) في إطار مبدأ شد الأطراف، تنظر إسرائيل إلى الأكراد -كأقلية عرقية- باعتبارهم حلفاء محتملين
أيضاً مثل الدروز، لكن يركز هذا البحث على الدروز تحديداً.

(*) يُشار بأن مقترحات تأسيس دولة للدروز في سوريا قديمة، ولا تقتصر على إسرائيل فقط، حيث سبقت فرنسا في طرح فكرة تأسيس دولة درزية في عهد نابليون بونابرت عام 1799 للسيطرة على سوريا، وكذلك استهدفت فرنسا خلال فترة الانتداب عام 1920 إحياء هذا المشروع، ولكن واجهت المفكرة معارضة شديدة من دروز سوريا الذين تمسكوا بانتمائهم السوري والعربي. لكن يسلط هذا المبحث الضوء على المشروع الإسرائيلي فقط. للمزيد حول هذه المشروعات التاريخية راجع: نائر أبو صالح، الدور الإسرائيلي ومشروع الدولة الدرزية، أبحاث سياسية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة (الدوحة - قطر، اسطنبول - تركيا)، بدون تاريخ للنشر، ص7.

(65) المرجع السابق، ص9.

(66) المجلس العسكري في السويداء .. بين شبهة الانفصال الخفي والخطاب الوطني المشروط، روسيا

اليوم، 27 فبراير 2025، متاح على: www.arabic.rt.com

(67) المرجع السابق.

(68) إسرائيل: لا نطمح بأراضي سوريا ووجودنا مؤقت، العربية، 26 يناير 2025، الخبر متاح على:

www.alarabiya.net، وأيضًا: إسرائيل تهدد بالبقاء في سوريا إلى أجل غير مسمى، الأهرام، 13

مارس 2025، الخبر متاح على: www.gate.ahram.org.eg

(69) نعوم زيدان وماثيو ليفنت، مرجع سبق ذكره. وأيضًا: مركز حرمون للدراسات المعاصرة،

التصعيد الإسرائيلي في سورية مطلع عام 2025: الغايات، الأهداف، والتداعيات، تقدير موقف،

مركز حرمون للدراسات المعاصرة (الدوحة - قطر، واسطنبول - تركيا)، فبراير 2025، ص5.

(70) أنس شواخ، بشير نصر الله، أيمن أبو نقطة وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص7.

(*) جبل الشيخ: يعرف أيضا "بجبل حرمون"، ويقع على الحدود بين لبنان وسوريا والجولان السوري

المحتل، ضمن محافظة دمشق، وشمال المنطقة العازلة السورية - الإسرائيلية بموجب اتفاق عام

1974، وله أربع قمم. سُمي بجبل الشيخ لأن قممه تكسوها الجليد مما يشبه رأس الشيخ، أما مسمى

جبل حرمون فهو كنعاني الأصل ويعني الحرم أو المقدس. للمزيد راجع: سوزانا قسوس ووائل جمال،

ماذا نعرف عن "جبل الشيخ" الذي سيطرت عليه إسرائيل؟، بي بي سي نيوز عربي، 14 ديسمبر

2024، المقال متاح على: www.bbc.com/arabic

(71) المرجع السابق.

(72) إسرائيل تهدد بالبقاء في سوريا إلى أجل غير مسمى، مرجع سبق ذكره.

جنوب سوريا في الاستراتيجية الإسرائيلية الإقليمية: قراءة في مبدأ حماية الأقلية الدرزية السورية

(73) مركز حرمون للدراسات المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص4، 6.

(74) Mohamad Hasan Sweidan, Stealing Water: Israel's Covert War on Syria, Lebanon, and Jordan, **The Cardle**, January 14, 2025, available at: <https://thecradle.co/articles-id/28455>

(*) **نهر اليرموك**: هو نهر يقع على الحدود السورية - الأردنية، وهو أحد روافد نهر الأردن، وينبع النهر من بحيرة مزيريب في محافظة درعا السورية، ويعد من أهم مصادر المياه العذبة لكل من جنوب سوريا (محافظة القنيطرة ودرعا والسويداء) وشمال الأردن. للمزيد راجع: إسرائيل تستولي على "سد المنطرة" المورد المائي الأهم جنوب سوريا... فماذا نعرف عنه؟، يورو نيوز، 3 يناير 2025، متاح على: <https://arabic.euronews.com/>

(75) Mohamad Hasan Sweidan, **Op. Cit.**

(76) أميرة السيد حسن صديق، التنافس الإيراني - الإسرائيلي - التركي في الشرق الأوسط، مرجع سبق ذكره، ص151.

(77) سوزانا قسوس ووائل جمال، مرجع سبق ذكره.

(78) Mohamad Hasan Sweidan, **Op. Cit.**

(79) طارق فهمي، "احتلال إسرائيل لأراض في سوريا: المعطيات والسيناريوهات المحتملة"، السياسة الدولية (مؤسسة الأهرام - مصر)، عدد240، أبريل 2025، ص112.

(*) يركز هذا الجزء على المكسب الثالث تحديداً والمتعلق بمواجهة النفوذ الأجنبي في سوريا باعتبار أن مكسبي تمدد النفوذ والتأثير على المستقبلين الداخلي والخارجي لسوريا تم تناوله في أجزاء سابقة من هذه الورقة.

(80) منى سليمان، "الدور التركي في المرحلة الانتقالية بسوريا: الأهداف والتحديات"، السياسة الدولية (مؤسسة الأهرام - مصر)، عدد 240، أبريل 2025، ص103.

(81) مصدر إسرائيلي: الغارات على سوريا رسالة إلى تركيا، سكاي نيوز عربية، 3 أبريل 2025، الخبر متاح على: www.skynewsarabia.com